د. حامد ألگار

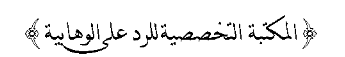
الوهابية

مقالة نقدية

ترجمة: د. عباس خضير كاظم

منشورات الجمل

د. حامد ألگار: الوهابية


المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

د. حامد ألگار

الوهابية
مقالة نقدية

ترجمة
د. عباس خضير كاظم

منشورات الجمل

د. حامد ألگار هو أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة كاليفورنيا – بيركلي منذ عام ١٩٦٥. ولد في إنكلترا عام ١٩٤٠ ودرس في جامعة كامبردج إذ حصل منها على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية عام ١٩٦٥. بعد أربعين عاما من العمل الدؤوب، تمكن الدكتور ألگار من أن يصبح واحداً من أهم مراجع العلم الرصين في مجال الدراسات الإسلامية في الغرب.

د. عباس خضير كاظم ولد في العراق عام ١٩٦٦ وتلقى دراساته الأولية في مدينتي بابل والكوفة. حصل على البكالوريوس من جامعة الموصل، ثم شهادة الماجستير من جامعة ولاية كاليفورنيا في سان فرانسسكو عام ١٩٩٨ والدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة كاليفورنيا – بيركلي عام ٢٠٠٦.

د. حامد ألگار: **الوهابية**، ترجمة: د. عباس خضير كاظم

Hamid Algar: *Wahhabism: A Critical Essay*

الطبعة العربية

Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

الإهداء

إلى هدى وعلي

مقدمة

ليس من اليسير على التلميذ أن يجري قلمه في ترجمة فكر أستاذه، خصوصاً إذا ما كان الأستاذ بوزن الدكتور حامد ألگار. ولكنني أجد في هذا الكتاب الذي أضعه بتواضع بين يدي القارئ العربي أهمية تبيح لي ما اجترأت عليه. في الحقيقة، لقد تكونت فكرة الترجمة هذه منذ وقت صدور الكتاب، غير أنني لم أفعل ذلك خشية أن يظنّ بعض الناس أنّ هذه الترجمة هي من قبيل نفاق الطالب لأستاذه، فأنا لم أكن حينئذٍ قد تجاوزت المراحل الأساسية من دراستي للدكتوراه. أما الآن وقد تجاوزنا ذلك كله، فبوسع القارئ أن يتجاوز الدوافع والنوايا ويتمعن في المضامين.

يستعرض المؤلف ثلاثة جوانب أساسية بشأن الوهابية. فهو أولاً، ووفقاً لعادته الرافضة للحشو والإسهاب، يتعرض بإيجاز لثلاث مقولات تتعلق بالوهابية فيرفضها جملةً وتفصيلاً. أول هذه المقولات هي تلك التي روجتها الوهابية ذاتها وتتعلق بادّعائها احتكار صفة الإسلام في ذات الوقت الذي تتهم فيه بقية المسلمين بالشرك والجاهلية. المقولة الثانية تنبع من الفكر الاختزالي لبعض الكتاب، وخصوصاً الغربيين منهم، فهم الذين توهموا وأوهموا من تبعهم بأن الوهابية حركة تنتمي لمذهب أهل السنّة، أو أنها تمثل الشطر

المتشدد ضمن ذلك المذهب. فالمؤلف يستشهد هنا برفض علماء أهل السنّة لهذا الرأي، بالإضافة إلى الفوارق الشاخصة بين الطرفين، والتي ليس من الممكن إغفالها. أما المقولة الثالثة فقد تكون من أهم المغالطات بشأن الوهابية؛ إذ يدّعى خطأً - كما يقول المؤلف - أنّ الوهابية قد فتحت الطريق لحركات الإصلاح في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب. فهو يرى أنه «من الخطأ أيضاً أن تحسب الوهابية حركة إصلاحية منذ نشوئها»، وإنما هو يرى في الوهابية «استثناءً أو انحرافاً، بل وربما شذوذاً» عن مسيرة الفكر الإسلامي الغني بتنوعه وسماحته عموماً.

في الجانب الثاني يستعرض المؤلف سيرة مؤسس الحركة الوهابية، محمد بن عبد الوهاب، والعوامل التاريخية التي رافقت نشوء الحركة وتطورها من مجرد فكر «شاذ»، ابتلي به رجل واحد، إلى كيان سياسي ساهم ولا يزال يساهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين أينما وصل نفوذه. ليس هذا لمجرد كون جمهور الكتاب من الغربيين الذين يفتقرون إلى خلفية تاريخية عن الحركة، ولكنّ لأنّ مؤلفه قد حاول أيضاً من خلال السرد التاريخي الموجز هذا أن يقدم تفسيراً للظاهرة الوهابية في سياقها التاريخي. فهو لذلك لم يشغل نفسه كثيراً بالتفاصيل التاريخية المثيرة للفضول، وما أكثرها في هذا المجال، بل تعدى ذلك كله إلى الحوادث التي تضع النقاط على الحروف.

الجانب الثالث والأخير يستعرض الوجود المعاصر للوهابية في العالم الإسلامي وفي الغرب والصراع الدائر بين التحالفات القديمة التي مكنت الوهابية وحلفاءها التقليديين من الوصول بكيانهم إلى ما لم يكونوا ليبلغوه لولا تحالفهم هذا. في هذا القسم من البحث، يجد القارئ استعراضاً لمحاولات لا هوادة فيها من أجل ترويج

الوهابية في العالم الإسلامي وخارجه، عن طريق إنفاق الأموال بسخاء منقطع النظير، وكذلك بواسطة تحالفات مع جهات عديدة في الأوساط الأكاديمية والطلابية والسياسية.

ثمة كلمة لابدّ منها بشأن النص الأصلي الذي أعدت عنه هذه الترجمة. فأسلوب الدكتور حامد ألگار ولغته أشبه ما يكونان بمزيج من لغة الفرزدق وأسلوب المتنبي. فكما كان الفرزدق «ينحت في صخر»، كذلك هي لغة مؤلف هذا الكتاب. فهو من أكثر المؤلفين اقتصاداً باللغة، حتى لتكون جملته مؤدية لمعنى قد يحتاج غيره إلى جمل كثيرة من أجل أداء الغرض ذاته. أما أسلوبه فهو تركيبة سحرية من التهكم والجد والنقمة والتفاؤل والتجرد والعاطفة معاً وفي آن واحد. فمثلما ترك لنا المتنبي الكثير من معانيه بين السطور، هكذا يكتب مؤلف هذا الكتاب وأمامه متلقيان، أحدهما لا يرى غير سواد الحروف، وآخر يتجاوز ذلك إلى ما يكون تخيله خيراً من تقييده في حدود الكلمات. لقد بذلت كلّ ما في وسعي لنقل هذا النص بروحه ومضمونه، ولكن الترجمة مهما يكن صانعها ماهراً يبقى الركون إليها من باب ترك الأولى.

ختاماً، أود أن أشكر للمؤلف ثقته بي ورعايته لي، وشكري موصول أيضاً لصديقي وزميلي الدكتور حسن ناظم على مراجعته مسودة الكتاب قبل طبعها وتقديمه المشورة والملاحظات القيمة التي ساعدتني كثيراً في تدارك بعض الهفوات، وإن بقي بعضها فذلك مما أُسأل عنه وحدي.

د. عباس خضير كاظم

بيركلي ٢٠٠٦

(١)

ما سيأتي هو استقراء متواضع لتأريخ الوهابية وعقائدها وأهميتها في الوقت الراهن. ربما احتجّ الأشخاص المتعاطفون مع عقائد ما ندعوه هنا بـ«الوهابية» على هذه التسمية، لاعتبارها تسمية أعطيت للحركة من قبل أناس من خارجها، وبقصد الغمز على الأغلب. أما الوهابيون فهم يفضلون عناوين أخرى هي «الموحدون» أو «أهل التوحيد» (الذين يقولون بوحدانية الله). ولكن تسمية الذات هذه بالتحديد ناجمة عن رغبة في ادّعاء الخصوصية والتفرد في القول بمبدأ «التوحيد» الذي يشكل حجر الأساس للإسلام نفسه، وهذا أمر يتضمن إلغاءً لبقية المسلمين على أساس كونهم مشوبين بالشرك. لا يوجد أيّ سبب يدعو للإذعان لهذه الفرضية القاضية بوجود تفرد كهذا. ولكون الحركة المذكورة هي في النهاية نتيجة عمل رجل واحد هو محمد بن عبد الوهاب، فمن المعقول والمتعارف عليه أيضاً أن يجري الحديث عن «الوهابية» و«الوهابيين».

هناك ملاحظتان أساسيتان أخريان. أولاً، إنّ الوهابية لا تشغل بالضرورة حيزاً مهما في تأريخ الفكر الإسلامي الموغل في القدم والمفرط في الغنى. فعلى الرغم من كونها هامشية على الصعيد

الفكري، لقد كانت الوهابية ذات حظ كبير بسبب ظهورها في جزيرة العرب (وإن كان ذلك في نجد التي هي منطقة نائية من الجزيرة)، وبذلك فقد ظهرت بمقربة من الحرمين اللذين يشكلان بؤرة جغرافية رئيسية في العالم الإسلامي، كما إنّ رعاتها السعوديين قد صادفوا حظاً عظيماً في القرن العشرين عندما جنوا ثروة هائلة من النفط إذ أُنفق جزء ملحوظ منها في محاولات ترويج الوهابية في العالم الإسلامي وخارجه. لولا هذان العنصران لربما مرت الوهابية في التاريخ وانتهت سريعاً كأية حركة طائفية هامشية. لقد وهب هذان العاملان، ومعهما تناغم جزئي لنزعات معاصرة في عموم العالم الإسلامي، الوهابية درجة من الديمومة.

الملاحظة الثانية تتعلق بكون الوهابية ظاهرة خاصة تماماً تدعو إلى الاعتراف بأنها مدرسة فكرية مستقلة، بل وربما طائفة بحد ذاتها. فالمراقبون من غير المسلمين خاصة، والذين يبحثون عن وصف موجز، أحياناً يصفون الوهابيين بالمتطرفين أو «المحافظين» السنّة، بالإضافة إلى صفات مثل «المتشددين» و«المتزمتين» من أجل إعطاء درجة مناسبة من دقة الوصف. ولكن ذوي العلم من أهل السنّة ومنذ البدء قد تنبهوا لكون الوهابية لا تحسب كجزء من أهل السنّة والجماعة، لأن جميع الممارسات والعادات التي هاجمها محمد بن عبد الوهاب تقريباً هي تاريخياً جزء لا يتجزأ من مذهب أهل السنّة، فهي متأصلة في كمّ هائل من النصوص ومقبولة من قبل أغلبية ساحقة من المسلمين. لهذا السبب بالتحديد انبرى علماء كثيرون معاصرون لظهور الوهابية للهجوم على معتنقيها باعتبارهم خارجين عن نطاق أهل السنّة والجماعة. إنّ كون الوهابيين يعدّون اليوم من أهل السنّة دليل على إنّ مصطلح «السنّي» قد اكتسب معنى

فضفاضاً فوق التصور، ليس فقط من خلال امتداده إلى ما وراء الاعتراف بشرعية الخلفاء الأربعة الأول (الذين يعتبرهم السنّة الخلفاء الراشدين)، ولكن في الحقيقة إنّ المصطلح أصبح لا يعني سوى ما هو أبعد بقليل من مفهوم «غير الشيعي». وعليه، فوصفنا للوهابيين بأنهم ليسوا سنّة هو قبل كل شيء محاولة للتوضيح التاريخي ولا ينطوي بذاته على أية رغبة بالمماحكة. فبالنسبة لكاتب هذه السطور ليس مذهب أهل السنّة إلا تمثيلاً للإسلام وليس سوى إحدى طرق تفسيره.

ثمّة فكرة عامة أخرى تتعلق بالوهابية وهي ثابتة في أذهان عدد كبير من المسلمين، هي مسألة الاعتقاد بأنها - أي الوهابية - تشكل المنبع لسلسلة من الحركات الإصلاحية التي لا يزال بعض منها فاعلاً في العالم الإسلامي. ولهذا يسود اعتقاد بوجود خط وراثي مباشر يمتد من الوهابيين في الجزيرة إلى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا أولاً، ومن هؤلاء إلى حركة الإخوان المسلمين، أي إلى خليط من الأشخاص والحركات التي تعرف مجتمعة بـ«السلفية». في الحقيقة، ثمّة أمور مشتركة بين الوهابيين والسلفيين، كما سيتبين لاحقاً في هذا البحث. لذلك لم يكن من المصادفة التامة أن يختار الكثير من «الإخوان» النشطين السعودية ملجأً لهم منذ ستينات القرن الماضي والمراحل التي تلتها هرباً من ملاحقة عبد الناصر لهم. ولكن لا توجد أية علاقة وراثية بين الوهابية والحركات التي قامت بعدها في العالم الإسلامي. إنّ الهيمنة النسبية لأشكال الفكر الوهابي التي تلاحظ الآن في أقطار إسلامية مختلفة ما هي إلا ظاهرة جديدة ناجمة عن مسببات مختلفة لا صلة لها بالظهور الأول لتلك الطائفة. كما أنه من الخطأ أيضاً أن تحسب

الوهابية حركة إصلاحية منذ نشوئها أو أنها لاقت أصداء تعاطف واسع في العالم الإسلامي، أو أنها خضعت لهيكل عام من «التجديد» الذي كان يتشكل في الشرق الأوسط وجنوب آسيا وفي أفريقيا وأماكن أخرى، فكل تلك الحركات كانت في الأعم مختلفة بطبيعتها عن الوهابية التي يجب أن ينظر إليها في سياق زمنها الخاص باعتبارها استثناءً أو انحرافاً، بل وربما شذوذاً.

(٢)

ولد محمد بن عبد الوهاب عام ١١١٥/١٧٠٣ في مدينة «العُيينة» الصغيرة في نجد، شرق ما يدعى اليوم بالمملكة العربية السعودية. لم تكن نجد ملحوظة في المسيرة العلمية الإسلامية أو مسيرة حركات الإصلاح الروحي، إذ يبدو أنّ فظاظة طبيعتها الجغرافية كانت دائماً تنعكس على تاريخها الإبداعي. في الحقيقة، توجد في الحديث الشريف مؤشرات على كون نجد غير ذات حظ في تلقي الرحمة الربانية مقارنةً بسوريا أو اليمن، وكون نجد موضع نشوء الزلازل والفتن ونجوم قرن الشيطان. إنّ مطابقة نبوءة الحديث مع ظواهر الوقائع التاريخية مهمة خطيرة من الأفضل أن تترك محاولتها؛ وإنّ هذا الحديث بالذات، إذا ثبتت صحته فعلاً، يمكن أن يرى في نهاية الأمر من زاوية عديمة الصلة تماماً بالوهابية؛ لكنّ ذكرها في نصوص الحديث ينمّ على ما يشبه النذير بشأن هذا الجزء من الجزيرة ويوحي بأنّ أية حركة تخرج منها يجب أن ترى بعين الحذر الشديد.[1]

---

(١) ربما وجد مصداق هذا الحديث في حفاوة استقبال النجديين لمدعي النبوة مسيلمة الكذاب بعد وفاة النبي بفترة وجيزة.

كان والد محمد بن عبد الوهاب وأستاذه الأول قاضي العُيينة، وقد كان يؤدي مهمات عمله طبقاً لتعاليم المذهب الحنبلي الذي كان سائداً في تلك المنطقة لفترة طويلة. فعثمان بن عبد الله بن بشر، مؤلف أحد التواريخ السعودية المعتمدة، قد كتب عن السنوات الأولى في حياة محمد بن عبد الوهاب قائلاً إنه كان «في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام فشرح الله صدره في معرفة نواقضه المضلة عن طريقه.»[2] في حين عبّر مناهضو الوهابية عن هذا الأمر بشكل مغاير تماماً. فهم يذكرون أنّ كلاً من أبيه وأخيه سليمان قد أحس بعلامات انحراف عقائديّ شديد لديه منذ سن مبكرة جداً.[3] ومن المؤكد أنّ سليمان أخاه قد انقلب ضده فعلاً وكتب أول ردّ مطوّل على الوهابية. أما والده فيبدو أنه كان في الأقل أكثر تحملاً في البداية. لكنّ نتيجة نشاطات الابن كانت فصل أبيه من وظيفته واضطراره في عام ١١٣٩/ ١٧٢٦ إلى ترك العُيينة والذهاب إلى مدينة حُريملا المجاورة، بينما بقي محمد بن عبد الوهاب في العُيينة لفترة وجيزة لإصلاح ما ادّعي وجوده من النزعات الشركية عند أهلها قبل أن يخلص إلى أنّه «لا يغني القول».[4] لهذا فقد التحق بأبيه في حُريملا قبل أن يغادرها إلى الحجاز، لأداء الحج أولاً.

بعد ذلك قضى أربع سنوات في المدينة المنورة والتي كانت لا تزال مركزاً مهما للعلوم الإسلامية والتبادل الإبداعي، جاذبة العلماء

---

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الرياض (بدون تاريخ)، ص ٦.

(٣) أنظر أدناه.

(٤) **عنوان المجد**، ص ٧.

والطلبة من أصقاع مختلفة من العالم الإسلامي. من الذين وثّقت دراسته على أيديهم نذكر الشيخ عبد الله بن إبراهيم، وهو نجديّ مثله، ومحمد حياة السنديّ الذي كان من علماء الحديث وذا أصل هنديّ. أحيانا يركز البعض على تلك العلاقة الأخيرة، فقد كان من بين تلاميذ السنديّ الفقيه المتصوف المعروف شاه ولي الله دهلوي. لقد اعتبر هذا دليلاً إلى حد ما على علاقة أو تجانس بين الوهابية وحركات تجديد مختلفة في شبه القارة الهندية والتي نشأت عن إرث شاه ولي الله.(٥) هذا الاعتقاد لا يصح بأي حال من الأحوال، فحتى المقارنة السطحية والعاجلة بين الوهابية وتعاليم شاه ولي الله، التي هي أغنى وأعمق بكثير (برغم غرابتها غالباً)، ستكشف تبايناً عظيماً. بالإضافة إلى ذلك فإنّ مجرد دراسة طالب ما مع أحد الأساتذة لا يعني بالضرورة إنه قد أخذ كلّ أفكار أستاذه، ولا يعني أيضاً كون الأستاذ مسؤولاً عن كل ما يحدثه التلميذ فيما بعد. بعبارة أخرى، لا الوهابية ولا حتى مكوناتها الأساسية يمكن أن تنسب قسراً وبصورة رجعية إلى محمد حياة السنديّ.

الأمر الأكثر أهمية من هذا كله هو ما ذكر عن تخصيص محمد بن عبد الوهاب جزءاً كبيراً من بقائه في المدينة لدراسة مؤلفات ابن تيمية (ت ١٣٢٨/٧٢٨)، والذي يعتبر حقاً عنصرا ملحوظاً في تأريخ الإسلام الفكري، على الرغم من كون تأثيره بعد وفاته أكبر مما كان عليه حين كان حيا يرزق. لقد كانت بينه وبين محمد بن عبد الوهاب خصلة مشتركة هي الاستمتاع بالمماحكة، وكان يستهدف المسيحية

---

(٥) John Voll, "Muhammad Hayat al-Sindi and Muhammad ibn Abd al-Wahab: an Analysis of an Intellectual Group in Eighteenth-Century Medina," *Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XXXVIII:1 (1975), pp. 32-38.*

والتشيع والكثير من عقائد وأفعال المتصوفة وكذلك المعتزلة، وهذا دليل على إنفاق ابن تيمية الجهد بصورة مريبة، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار كون المعتزلة قد انقرضوا في تلك المرحلة. وبسبب اهتمام محمد بن عبد الوهاب بمؤلفات ابن تيمية، فقد ادعى البعض بأنّ الوهابية تمثل ظهوراً متأخراً لإرثه. إنّ إقامة البرهان على هذا الادعاء صعبة للغاية على الرغم من كونه اقل ضعفاً من محاولة الربط بين مؤسس الوهابية وشاه ولي الله. فلم يكن من المصادفة أن يكتب دونالد ب لتل (Donald P. Little) مقالة عنوانها «هل كان لدى ابن تيمية مسٌّ من الجنون؟ Did Ibn Taymiyya have a screw loose?»[٦]. على أية حال، مهما ظن المرء بمواقف ابن تيمية فهو بلا شك مفكر فذّ أحرص وأعمق بكثير من محمد بن عبد الوهاب.[٧] بالإضافة إلى ذلك، هناك فرق جوهري بين الرجلين، فإنّ ابن تيمية وإن كان قد ناهض جوانب معينة من التصوف كانت في أيامه، معتبراً إياها خاطئة أو فاسدة، إلاّ إنه لم يرفض التصوف جملة وتفصيلاً، فقد كان هو ممن دخل في الطريقة القادرية.[٨] على العكس من ذلك نجد محمداً بن عبد الوهاب يعارض التصوف بشكل أوسع، من أصوله إلى الفروع، وليس مجرد بعض ظواهره. إنّ الوهابية أساسا حركة مقطوعة النسب، فهي قد ولدت من فراغ،

---

(٦) *Studia Islamica*, XLI: 1 1975, pp. 93-111.

(٧) إنّ مؤلفات ابن تيمية الضخمة غير مقروءة اليوم عموماً من قبل مواليه المتشددين أو خصومه. من المثير أنّ المصير نفسه قد لاقاه ابن عربي خصم ابن تيمية الرئيس من بين المتصوفة.

(٨) George Makdisi, "Ibn Taymiya: A Sufi of the Qadiriya Order," *American Journal of Arabic Studies*. I(1974), pp. 118-129.

لا لكونها ظهرت في صحارى نجد القاحلة، ولكن أيضاً لأنها تفتقر إلى أية سابقة في التاريخ الإسلامي.

ولكن من وجهة نظر الوهابية نفسها يمكن طبعاً أن يحتجّ بأنّ هذا الافتقار إلى السابقة التاريخية هو بالتحديد فضيلة بحد ذاتها، لأنّ الهدف الوحيد للوهابية هو تفكيك التركيبة المعقدة للهياكل القانونية والعقائدية والعرفانية، ناهيك عن الممارسات الدينية التي نشأت منذ إكمال نزول القرآن، وبالتالي إيجاد وسيلة ما للعودة المباشرة إلى المصدرين التوأمين للإسلام: القرآن والسنّة. لدى النظرة الأولى قد تبدو هذه الأهداف جديرة بالإكبار، كما أنها بلا شك أهداف يشترك بها الكثير من المسلمين الذين لا يعدون أنفسهم من الوهابيين. في الحقيقة، لا توجد أية قيمة إلزامية في ما أسهب فيه على مرّ التاريخ، بل القيمة الإلزامية الوحيدة تكمن في القرآن والسنة حسب. ومع ذلك فإنّ التصور بأنّ معاني وتطبيقات القرآن والسنة ممكنة الفهم بشكل جوهري ومفيد بواسطة إغفال كل التراث الإسلامي تقريباً، منذ مرحلة ما بعد التنزيل، هو أمر غير واقعي. كما أنه من الوهم بنفس الدرجة افتراض أنّ أياً من الفرد أو المجتمع يمكن أن يكون مساحة فارغة يمكن أن يطبع فيها القرآن والسنة بشكل أصيل من دون أيّ وجود لاختلاط مع عوامل تاريخية أو معاصرة. إنّ عملية وطريقة نزول القرآن هي بحد ذاتها إيحاء بالتفاعل الدائم مع الواقع المتغير للمجتمعات الإنسانية، ذلك الواقع الذي يتضمن بالضرورة بعداً تاريخياً.

لنستمر في تقديم سيرة الرجل، فقد عاد محمد بن عبد الوهاب إلى حُريملا، ثم سافر بعد ذلك بفترة غير طويلة إلى البصرة لأسباب غير معروفة بوضوح، ليقيم في قرية اسمها المجموعة. هناك، كما يقول المؤرخ السعودي عثمان بن عبد الله بن بشر، «أقام

مدة. . .ينكر أشياء من الشركيات والبدع».[٩] وربما كان اتصاله المباشر الأول مع الإسلام الشيعي هناك. فالأحساء، التي تشكل حتى يومنا هذا منطقة ذات أغلبية شيعية رغم عقود من التنكيل الوهابي-السعودي، لها مع نجد حدود مشتركة لسوء طالعها. ولكن لا يوجد ما يشير إلى أنّ محمداً بن عبد الوهاب كان يمتلك وعياً جوهرياً بخصوص التشيع قبل إقامته في المجموعة. في هذا الوقت جذب التشيع الإسلامي اهتمامه لأنه اعتبره غاصاً بالشركيات. لكنه لم ينجح في إقناع الشيعة ولا السنة أيضا بشأن تقصيرهم، فرحل. حسب ما أورده عثمان بن عبد الله بن بشر، كان هدفه هذه المرة السفر إلى دمشق (ربما لوجود علماء حنابلة هناك) لكنة فقد نقوده بطريقة ما، والتي كان لابد له منها للقيام بالرحلة، فعاد إلى حُريملا ماراً عبر الأحساء. كان ذلك، يقول المؤرخ السعودي، لأنّه «. . .أراد الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى أن يمضي أمره ويعلي كلمته ويجمع أهل نجد بعد تفرقهم على إمام واحد. . .»[١٠]

وتشير رواية أخرى غير معروفة المصدر، وقد تكون خيالية، إلى إنّ محمداً بن عبد الوهاب سافر من البصرة إلى بغداد حيث تزوج بامرأة غنية وأقام خمسة أعوام. ثمّ واصل رحلته، كما يقال، إلى إيران عبر كردستان حيث زار همدان وقم وإصفهان لدراسة الفلسفة.[١١] إذا كان قد قام بهذه الرحلة فعلاً، على الرغم من كرهه

---

(٩) **عنوان المجد**، ص ٨. ربما كان مصطلح الشركيات المساهمة الوحيدة للوهابية في معجم المفردات العملية للإسلام.

(١٠) **عنوان المجد**، ص ٨.

(١١) **لمع الشهاب في تاريخ محمد بن عبد الوهاب**، مجهول المؤلف، تحقيق أحمد أبو حكيمة، بيروت، ١٩٦٧.

أنظر أيضاً: Neşet Caatay, "Vehhabilik," *Islam Ansiklopedisi,* XIII, p. 263

للتشيع، فإنّ الدوافع التي دعته للقيام بها تشكل لغزاً. لا يوجد ذكر لمحمد بن عبد الوهاب في المصادر الفارسية الخاصة بتلك الفترة، وهذا يعني - على افتراض أنه زار إيران فعلاً - أنّ محاولاته لترويج مفاهيمه حول الإصلاح قد أغفلت هناك واعتبرت دون أهمية تذكر، أو أنه قد ناقض نفسه واعتنق مؤقتاً مذهب التقية الشيعي. من المرجح، ولأسباب تسلسلية محضة، أن يكون قد رجع من البصرة إلى حُريملا مباشرة.

التحق هناك بوالده واستمر في تنديده بالـ«جهل والشرك والبدعة» بتعصب لا نفاد له حتى كلَّ والده منه و«وقع بينه وبين أبيه كلام»، كما يقول عثمان بن عبد الله بن بشر معبراً عن الأمر بأسلوب مخفف.[١٢] كما وجد أيضاً الوقت الكافي لجمع الكتيب المسمى **«كتاب التوحيد»**. على الرغم من الوعد الذي قدمه في صفحة العنوان بشرح أهم العقائد الإسلامية - أي التوحيد - فقد احتوى الكتيب الأحاديث فقط من دون أي تعليق، وقد صنفها في سبعة وستين فصلاً. الراحل إسماعيل راجي الفاروقي، الذي كان في وقته أحد المروجين الأساسيين للوهابية في شمال أمريكا، كاد أن يكون على حق لدى ترجمته لكتاب التوحيد حين وصف الكتاب بأنه يحمل سمة «ملاحظات الطالب». كان من الأصح أن يقول بأن هذا الكتاب وكذلك الكثير من مؤلفات محمد بن عبد الوهاب الأخرى هي مجرد ملاحظات طالب. هكذا، وبوثبة تخيلية يمكن أن تشرّف مداح بلاط من القرون الوسطى، حاول الفاروقي أن يبرر الضعف الأدبي لبطله عموماً، فزعم أنه «جند نفسه لـ [تصحيح الفهم الخاطئ بشأن التوحيد لدى جميع المسلمين تقريبا حسب زعمه] بعزيمة فكرية أعظم من

---

(١٢) **عنوان المجد**، ص ٨.

قلمه.»[١٣] لقد كانت هنالك بلا شك عزيمةٌ عمِلَ محمد بن عبد الوهاب على إظهارها، ولكن كونها ذات طابع فكري أمرٌ مشكوكٌ فيه.

قد تكون مناقشة ما يمكن تسميته، مجازاً، النتاج العلمي لمحمد بن عبد الوهاب في محلها عند هذه المرحلة من البحث. إنّ كل مؤلفاته خفيفة الوزن من حيث الحجم والمضمون على حدٍّ سواء. والفاروقي، في محاولة تبرير مديحه لمحمد بن عبد الوهاب، أضاف لكل فصلٍ ترجمةُ من **كتاب التوحيد** قائمةً من «المواضيع الإضافية» التي اختطها هو، موحياً للقارئ بأنّ المؤلف قد ناقش أصلاً بعض «المواضيع» التي تثيرها الأحاديث المذكورة في الكتاب. ولكنه في الحقيقة لم يفعل ذلك. كذلك نجد أنّ طبعة لكتاب محمد بن عبد الوهاب «**كشف الشبهات**» قد نشرت في الرياض عام ١٣٩٥/ ١٩٧٥ محتوية لملاحظة في صفحة العنوان تقول: «قام بتفصيله السيد محمد شكري الآلوسي.» لا توجد في أي من الحالين إشارة واضحة إلى موضع انتهاء مساهمة محمد بن عبد الوهاب وبداية مساهمة المحقق. يبدو أنّ القائمين على الوهابية محرجون بسبب ضآلة مؤلفات محمد بن عبد الوهاب لدرجة أنهم وجدوا ضرورة لتوسعة حجمها.

صحيح إنّ بعض المجلدات السميكة نسبيا قد طبعت في المملكة العربية السعودية تحت اسم «**مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب**» (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود)، ولكنها في حقيقة الأمر لا تعدو كونها مجموعات لملاحظات وتصنيفات

(١٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، ترجمة إسماعيل الفاروقي، طبعة ثانية، دلهي، ١٩٨٨، ص ١٥.

للحديث وفقاً لعناوين معينة. كاتب هذه السطور يمتلك في مكتبته الجزأين الأول والثاني وكذلك الجزء الرابع من هذه المجموعة. ليس من الواضح كم مجلداً تشكل المجموعة الكاملة لهذه السلسلة. الجزءان الأول والثاني لا يحتويان سوى على أحاديث تتعلق بضوابط الوضوء والصلاة والزكاة، ولا يحتويان على أي توضيح أو تعليق من قبل محمد بن عبد الوهاب شخصياً، في حين إنّ مصادر الأحاديث الموجودة في الهوامش هي جميعها دون استثناء من عند المحققين الثلاثة لهذه السلسلة.(١٤) أما الجزء الرابع فيبدأ برسالة مبتسرة عنوانها «**كتاب فضائل القرآن**»، وهي أيضاً مجموعة من الأحاديث المصنفة في ثمانية عشر فصلاً من دون أي تعليق. يستمر الكتاب مقدماً مؤلفاً واعداً عنوانه «**تفسير آيات القرآن الكريم**»، والذي سرعان ما يتضح إنه أكثر بقليل من مجرد إعادة صياغة بعض الآيات القرآنية وملاحظات حول بعض القواعد الأولية للغة التي جاءت في بعض الآيات الأخر. الاهتمام الوحيد الذي يثيره هذا المؤلف يكمن في التعليقات التهكمية اللاذعة هنا وهناك التي يطلقها المؤلف ضد أولئك الذين يدعوهم بـ«أئمة الشرك». ينتهي المجلد بعد ذلك بخلاصة كتبها محمد بن عبد الوهاب لكتاب «**زاد المعاد**» لابن قيم الجوزية، الذي يكاد لا يعد نصاً معقداً لكي يحتاج إلى معاملة خاصة.

إنّ تقييم منجزات محمد بن عبد الوهاب كعالم ومؤلف شرط مشروع لتقدير منجزاته العامة من أجل تاريخ الإسلام بوصفه تاريخاً فكرياً وروحياً يتكون قبل أي شيء من علمائه والمؤلفات التي كتبوها، حيث يشكل الكتاب التحفة الجوهرية في الحضارة

---

(١٤) المحققون هم عبد العزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب.

الإسلامية. فكل شخصية أسست حركة تجديد في تاريخ الإسلام كانت شخصيةً ذات عمق وكان صاحبها كاتباً مؤثراً. يمكننا أن نورد في هذه المناسبة مثالين معاصرين تقريباً لزمن محمد بن عبد الوهاب هما الشيخ عثمان دان فوديو وشاه ولي الله دهلوي. فهو لم يكن ليقارن بأي منهما ولو من بعيد. ربما حصل للمرء انطباع بأنّ محمداً بن عبد الوهاب قد اعتبر عملية التأليف بدعة محرمة أخرى أدّت على مر القرون إلى تضليل العقل الإسلامي.

لنعد من هذا الاستطراد إلى السيرة. يبدو أنّ وفاة والده عام ١١٥٣/ ١٧٤٠ قد حررته من جميع المعوقات التي وقفت أمام محاولاته لاجتثاث مظاهر الشرك المزعومة. رغم جمعه لبعض التابعين، فقد وجد أنه من الأنسب أن يترك حُريملا وقد تمكن بالفعل من العودة إلى العيينة تحت ظروف أفضل من تلك التي كانت تسود قبل أربعة عشر عاماً والتي اضطرته لترك المدينة، فحاكم العُيينة الجديد، عثمان بن حمد معمّر، قد وفر حمايته لمحمد بن عبد الوهاب وأعطى الولاء لمفهوم التوحيد الذي كان يروج له. لقد توثق هذا الحلف بزواج محمد بن عبد الوهاب من الجوهرة بنت عبد الله بن معمّر، ابنة عم عثمان بن حمد معمّر. متخذاً من حماية الحاكم سلاحاً له، بدأ محمد بن عبد الوهاب بقطع بعض الأشجار غير المرغوب فيها قبل أن يتحول إلى عملية هدم طَموح: هدم قبر زيد بن الخطاب الذي كان أحد صحابة النبي وأخاً للخليفة الثاني، ثم مات في معركة اليمامة محارباً مسيلمة الكذاب. فقد زوّد عثمان بن حمد بن معمّر محمداً بن عبد الوهاب بمرافقين مسلحين عددهم ستّمائة رجل لحمايته هو والعصابة الصغيرة من أتباعه وهم يضربون بمعاولهم ذلك البناء. لقد كان رجمه لعاهرة اعترفت بذنبها، بإرادتها لأكثر من مرة، هو في حقيقة الأمر الذي وضع محمداً بن عبد

الوهاب على الخريطة. «فعظم أمره بعد ذلك،» كما يقول عثمان بن عبد الله بن بشر، «وكبرت دولته وفشا التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.»[١٥]

في ذلك الوقت بالتحديد أذعن عثمان بن حمد بن معمّر لضغوط أحد رؤساء القبائل المؤثرين في المنطقة وطرد محمداً بن عبد الوهاب من العُيينة. لقد كانت هذه النكسة الظاهرية في حقيقة الأمر ذات فائدة عظيمة له، إذ ذهب إلى الدرعية وعقد تحالفا مع محمد بن سعود، حاكم تلك المدينة، موثقاً إياه بزواج آخر. لقد تبين أنّ هذا الاتفاق عقد ليدوم ويهيئ الأرضية لكيان سياسي يمكن أن يدعى لسنوات عديدة كيانا سعودياً أو وهابياً. صحيح إنه في القرن العشرين حصلت الدولة السعودية على علة ثانية لوجودها كأداة مدللة للمصالح الأجنبية - البريطانية أولا ومن ثَمّ الأمريكية - في الشرق الأوسط، لكنها لم تكن في بداية قيامها سوى الذراع المسلح للطائفة الوهابية. إنّ الرابطة الآخذة بالضعف الآن بين المؤسسة الدينية والعائلة السعودية هي في جوهر الأمر نتيجة حتمية للصراع بين نوعين من الولاء المتوارث: الولاء الوهابي والولاء الانجلو-أمريكي. سننتظر ثم نرى ماذا يحدث عندما ينفصل هذان التوأمان المتلاصقان، الوهابية والعائلة السعودية، عن بعضهما وأياً منهما سيكتب له البقاء.

هذا التحالف، الذي صار ينهار الآن، قد بدأ حينذاك محفوفا بسعادة غامرة. فقد وعد محمد بن سعود محمداً بن عبد الوهاب دعمه الكامل للقيام بـ«جهاد» ضد كل أولئك الذين ينحرفون عن مفهومه الخاص للتوحيد. لم يكن لديه سوى قلق واحد هو احتمال

---

(١٥) عنوان المجد، ص ١٠.

أن يمنعه محمد بن عبد الوهاب من جمع الضريبة السنوية من أهل الدرعية. محمد بن عبد الوهاب طمأنه مؤكداً له أنّ الجهاد الآتي سيجني له غنائمَ تفوق تلك الضريبة بكثير.[١٦] بهذا هيئت الظروف المناسبة لحملة من القتل والسلب في طول الجزيرة وعرضها.

في العام ١١٥٩/١٧٤٦ أعلنت الدولة الوهابية-السعودية «جهاداً» رسمياً ضد كل أولئك الذين لا يشتركون معها في مفهومها للتوحيد معتبرة إياهم كفاراً مقترفين للشرك والارتداد عن الدين. من المهم أن نلاحظ أنّ كلمة «المسلمين» كلما وردت في كتاب عثمان بن عبد الله بن بشر «عنوان المجد في أخبار نجد» كانت تشير حصراً إلى الوهابيين. لكن إلغاء الوهابيين لجميع المسلمين الذين لا ينتمون إليهم واعتبارهم كفاراً هو أمر له أهمية تتجاوز البعد التاريخي. إنّ هذا الموقف الاحتكاري الرافض مستمر في التأثير على إجمال المواقف التي يتبناها الوهابيون المعاصرون تجاه المسلمين عامة وتجاه أولئك الذين يقعون تحت سيطرتهم بصورة خاصة، حتى لو لم يعبر عنه بوضوح، وحتى لو بدا هذا الموقف مخفيا لأسباب عدة - لعل أهمها هو رغبة النظام السعودي في تصوير نفسه بأنه المدافع عن مصالح المسلمين على الرغم من الأدلة الوافرة على العكس.[١٧]

لقد قدم أحد قدماء مؤرخي الوهابية، الأدميرال العثماني أيوب صبري باشا في كتابه «**تاريخ الوهابيين**»، مقارنة مثيرة بين الوهابية وحركة القرامطة، وهي إحدى تفرعات الحركة الإسماعيلية، فقد نجح القرامطة في السيطرة على مكة عام ٣١٧/ ٩٣٠.[١٨] هذه

---

(١٦) **عنوان المجد**، ص ١٢.

(١٧) أنظر أدناه.

(١٨) أيوب صبري باشا، **تاريخ وهابيان**، إسطنبول، ١٢٩٦/١١٨٧٩، ص ٣-١٧.

المقارنة استُلهمت مما حصل للحرمين أثناء الاحتلال الوهابي من عام ١٨٠٦ إلى عام ١٨١٢ . هذا في حين اقترح مسؤولون عثمانيون آخرون مقارنة ربما كانت أكثر فائدة حيث شبهوها بحركة الخوارج.[١٩] ففي مرحلة أسبق بكثير في تأريخ الإسلام ، ومثلما فعل الوهابيون، اعتبر الخوارج كل المسلمين الذين لا يعتنقون عقائدهم كفرة تحل محاربتهم، إن لم تكن محاربتهم واجبة، ولذلك فقد أطلقوا العنان لحملة من اللصوصية عليهم جميعاً. في الحقيقة، لم تكن مبررات الوهابيين مختلفة أثناء توغلهم وتوسعهم في طول شبه الجزيرة العربية وعرضها في أواسط القرن الثامن عشر. وعليه، فإنّ سابقة تاريخية للوهابيين ربما اكتشفت في النهاية، وهي تلك التي تتمثل في حركة الخوارج، ليس من ناحية تفاصيل العقائد، ولكن من ناحية طريقة تفاعلهم مع الآخرين.

إنّ الازدراء للمسلمين من غير الوهابيين قد تشابك أيضا بشكل بديع في أكثر من مناسبة مع ضرورة تقديم الولاء للقوى غير الإسلامية خلال القرن العشرين. فمما يستحق الإشارة مثلا هو ما قاله عبد العزيز بن سعود، الذي حكم بين ١٩٠٢ و١٩٥٣، لجون (عبد الله) فيلبي، الوسيط بينه وبين وزارة الخارجية البريطانية، من كونه يفضل المسيحيين على غير الوهابيين من المسلمين. فقد أوضح ذلك بأنّ المسيحيين يتصرفون وفقاً لدينهم، في حين إنّ المسلمين لا يتبعون الفهم الوهابي للتوحيد فهم بذلك مقترفون للشرك. بعبارة أخرى، من الأفضل أن يكون المرء مسيحياً بدلاً من كونه مسلماً من غير الوهابيين.[٢٠] ليس من الخيال بأي حال من الأحوال أن تفسّر

---

(١٩) Neşet Cağatay, "Vehhabilik," *Islam Ansiklopedisi,* XIII, p. 267.

(٢٠) Elizabeth Monroe, *Philby of Arabia*, London, 1973, pp. 69-70.

تعاملات العائلة السعودية مع حماتها الأجانب كجزء من ترجمة هذه المواقف إلى الواقع السياسي.

لقد احتلت مساحات واسعة من الجزيرة خلال الأعوام الخمسة عشر التي تلت إعلان الوهابيين الجهاد. ففي البدء احتلّ السعوديون معظم أرض نجد، ثم أخضعت قبائل وسط الجزيرة في حين وقعت عسير وأجزاء من اليمن في قبضتهم. ثمَّ مات محمد بن سعود عام ١١٨٠/١٧٦٦ ليخلفه عبد العزيز الذي جند نفسه بطاقة أكبر من سلفه لتوسعة الكيان السعودي وكذلك الترويج للوهابية. ففي عام ١١٨٧/١٧٧٣ احتل الرياض وبدأ بعد ذلك بنحو سبعة عشر عاما بتوجيه بصره نحو الحجاز لتحقيق توسعة أكثر أهمية لمملكته. كان محمد بن عبد الوهاب، في عام ١١٤٦/١٧٣٣، وقبل أن يحصل على الحماية والدعم السعوديين، قد أرسل وفداً من ثلاثين رجلاً لشريف مكة، مسعود بن سعيد، طالباً الإذن له ولأتباعه بالقدوم للحج. لقد استشعر الشريف حين ذلك أنّ الهدف من تلك المحاولة هو نشر تعاليمه بين جموع الحجيج، ولذلك هيأ الأجواء لمناظرة بين الوهابيين الوافدين ونخبة من علماء مكة والمدينة فكان أن فشل ممثلو محمد بن عبد الوهاب في الفوز بقصب السبق مما أدى بقاضي مكة إلى اعتبارهم كفرة طبقاً للمبدأ المعروف، والمبني على نص الحديث، الذي يقول إنّ كل مَن كفّر مسلماً من دون حجة فهو كافر. مات محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦/١٧٩١، بعد فترة وجيزة من بدء مناوشات عبد العزيز مع حكام الحجاز، لكن ذلك لم يقلص شهوة السعوديين للاحتلال والمذابح. فبعد أقل من عشر سنوات كانت الوهابية قد فُرضت على الحرمين - ولو مؤقتاً - بقوة السلاح.

لقد سبق احتلال الحجاز والفظائع التي رافقته في عام ١٢١٧/

١٨٠٢ هجوم سعودي على مدينة كربلاء، جنوبي العراق، وهي مكان استشهاد الإمام الحسين وموضع قبره. فقد ذكرت بعض الروايات أنّ الهجوم وقع يوم العاشر من شهر محرم بالتحديد، وهو يوم اجتماع الشيعة لإحياء ذكرى الاستشهاد. إذا كان هذا هو توقيت الهجوم بالفعل فلابدّ أن يكون الهدف المنشود منه هو إيقاع أكبر إهانة وإيلام بالشيعة. لقد وردت وقائع هذا العمل الوحشي في كتاب المؤرخ السعودي عثمان بن عبد الله بن بشر، الذي أورد تاريخ حدوثها قبل التاريخ الفعلي بثلاثة أشهر تقريباً:

«(ثمّ دخلت السنة السادسة عشرة بعد المائتين والألف) وفيها سار سعود [بن عبد العزيز] بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين. وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين وأخذوا ما في القبة وما حولها وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقين والجواهر وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها إلاّ ضحوة وخرجوا منها قبل الظهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها قريب ألفي رجل.

ثم أنّ سعود ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيّض.... فجمع الغنائم وعزل أخماسها وقسم باقيها

في المسلمين [يعني الوهابيين] غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان ثمّ ارتحل قافلاً إلى وطنه.»[٢١]

يبدو أنّ كل ذلك كان عمل يوم واحد فقط.

كان أول احتلال للوهابيين في الحجاز قد حصل لمدينة الطائف التي استباحوها في ذي القعدة من عام ١٢١٧ الموافق لشهر شباط من عام ١٨٠٣ بعد حصار طويل شابهُ الكثير من المحاولات والمفاوضات. هنا أيضا ارتكبوا مذبحة وأحرقوا الكتب التي عثروا عليها، باستثناء القرآن وكتب الحديث، ودمروا كل قبور الصحابة التي صادفوها في المدينة. هكذا يصف المؤرخ السعودي تلك الواقعة:

«وانهزم [الشريف غالب] إلى مكة وترك الطائف فدخله عثمان [- وهو أحد الفارين من جيش غالب، شريف مكة -] ومن معه من الجموع وفتحه الله لهم عنوة بغير قتال وقتلوا من أهله في الأسواق والبيوت نحو مائتين وأخذوا من الأموال من البلد أثمانا وأمتاعا وسلاحا وقماشا وشيئا من الجواهر والسلع المثمنة ما لا يحيط به الحصر ولا يدركه العد وضبط عثمان البلد وسلمت له جميع نواحيه وبواديه وجمعوا الأخماس وبعثوها لعبد العزيز فقرر ولاية عثمان للطائف واستعمله عليها وعلى الحجاز.»[٢٢]

بعد ذلك بشهرين تقريباً دخل عبد العزيز مكة وأجبر علماءها على مبايعته، لكن هذا الاحتلال الوهابي للمدينة لم يدم طويلاً إذ تمكن الشريف غالب من استعادتها بعد شهرين ونصف.

---

(٢١) عنوان المجد، ص ١٢١-١٢٢.

(٢٢) عنوان المجد، ص ١٢٣.

لم يمض وقت طويل حتى اغتيل عبد العزيز في الدرعية من قبل رجل يدعى عثمان وصف تارةً بأنه درويش كردي من الموصل تظاهر بكونه من المنضمين الجدد المتعصبين للوهابية، وتارةً أخرى يقال بأنه شيعي - وربما كان أفغانياً - من كربلاء وقد أراد أن يثأر للمذبحة التي اقترفت في تلك المدينة.[٢٣] خلف عبد العزيز ابنه سعود، جزار كربلاء، فاستمرت حملة الاجتياح دون أي توقف يذكر. ففي المحرم من عام ١٢٢٠ الموافق لشهر آذار من العام ١٨٠٥ سيطر الجيش الوهابي-السعودي على المدينة المنورة وفي شهر ذي القعدة من العام ١٢٢٠ والموافق لشهر كانون الثاني من العام ١٨٠٦ احتلّ مكة للمرة الثانية. لقد دام احتلال الحرمين هذا ست سنوات ونصف السنة، حتى عام ١٢٢٧/ ١٨١٢، فُرض خلالها المعتقد الوهابي على أهل مكة والمدينة بينما انهمك الوهابيون بعملهم المميز وهو هدم الأضرحة. ففي مكة دمِّرت القباب التي كانت تعلو البيوت التي شهدت مولد الرسول وخديجة الكبرى والإمام علي وأبي بكر الصديق، وكذلك القبور والأضرحة في مقبرة المعلى التاريخية فهي بدورها قد سويت بالأرض. أما في المدينة فقد نهبت خزينة مسجد الرسول في حين توقفت محاولات هدم القبة التي تعلو قبر الرسول حين سقط عدد من المتطرفين المكلفين بالمهمة ولاقوا حتفهم بتأثير إلهي. لكنّ جميع الأبنية وشواهد القبور في المقبرة المعروفة باسم «جنة البقيع» المجاورة لمسجد الرسول قد دمرت بالكامل. ممن دفن هناك نذكر زوجات وأصحاب الرسول وعدداً من الأئمة من أهل البيت، وكذلك عدداً كبيراً من الشخصيات

---

(٢٣) **عنوان المجد**، ص ١٢٥-١٢٦. للوقوف على كونه أفغانياً، أنظر: عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد، ١٩٥٦، ج ٥، ص ١٦٠.

الأقل لمعاناً في تأريخ الإسلام الروحي والفكري. في المراحل السابقة، حين كان علماء الحرمين أحراراً من الإكراه الوهابي، كانوا لا يتورعون عن رفض تعاليم الوهابية. أما الآن فقد أجبروا على الإذعان. فمن بين الأمور التي فرضت عليهم وعلى عامة أهل المدينتين أداء الصلوات الخمس جماعة، وكذلك غسل أدمغة العلماء والعامة من المعتقدات السابقة وإحلال تعاليم الوهابية محلها، بالإضافة إلى تدمير الكتب التي عُدَّت مما يدعم «الشرك» - بما في ذلك، مثلا، كتاب **دلائل الخيرات** للجزولي **وروض الرياحين** لليافعي ومدى واسع من الممنوعات شملت تفاصيل معينة للصلاة مما أقره المذهبان الحنفي والمالكي، واستعمال التسبيح وإحياء ميلاد النبي، وخاصة بواسطة قراءة الشعر، والتقليد السائد من قراءة بعض الأحاديث قبل خطبة الجمعة، وحيازة أو تدخين التبغ، وشرب القهوة (لفترة وجيزة). علاوة على ذلك فقد عُدَّت قوافل الحج التي كانت تأتي من مصر وسوريا من المهالك التي تحمل الشرك، فمنع دخولها إلى الحرمين.

لقد أجبر الاحتلال الوهابي للحرمين العثمانيين على التصرف بحزم. فقد كانت هيبتهم، بوصفهم حماة الإسلام السني وورثة الخلافة، يعتمد على السيطرة على الحرمين ولو شكلياً على أقل تقدير، لأنّ فرض سيطرتهم الحقيقية عليهما كان غالباً موضع تحدٍ من جانب «شرفاء» مكة. لهذا نجد أنّ بعض المؤرخين العرب من ذوي النزعة القومية، في الأقل المتقدمين منهم، يعتبرون الحركة الوهابية انتفاضة قومية هدفها «تحرير العرب من السيطرة الإمبريالية العثمانية.» كما إنّ الحكومة السعودية ادّعت مؤخراً أنّ الانتصار الوهابي الأول في شبه الجزيرة العربية قد أثار «انتباه وحفيظة الإمبراطورية العثمانية.» وأوجد رغبة «في وضع نهاية للأمة

الناشئة.»[٢٤] أوصاف كهذه تنطوي في حقيقتها على مفارقة تاريخية، فالنظرية الوهابية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالفكرة القومية، كما أنه من غير المؤكد أن تكون هناك أمة سعودية حتى في الوقت الحاضر. لكن يمكن على أية حال الإدعاء بأن أول ظهور للدولة الوهابية-السعودية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكذلك عملية توحيدها وتوسعتها في القرن العشرين، قد حدثت كلها في سياق الهيمنة الأوربية على الأراضي العربية ولذلك فقد شكلت تلك الهيمنة عاملاً مولداً للضعف والانقسام. فكما يشير المؤرخ الشيخ أحمد دحلان، لقد كان العثمانيون يواجهون اثنتين من الفتن في نفس الوقت: غزو نابليون لمصر والغزو الوهابي للجزيرة العربية. في الحقيقة، إنه من المحتمل أنّ الوهابيين قد كانوا على اتصال بالفرنسيين، كما أنّ الفرنسيين لم يكونوا الأعداء الوحيدين الذين كان على العثمانيين مواجهتهم في ذلك الوقت، فالمناوشات ضد روسيا والنمسا كانت أيضاً قائمة.

في ضوء هذه المشاغل المتعددة، وبعد سلسلة من الحملات العسكرية التي شنها والي البصرة على الوهابيين، والتي انتهت بالفشل، أوكل العثمانيون مهمة تحرير الحرمين لوالي مصر، محمد علي باشا. ففي العام ١٢٢٦/ ١٨١١نزل في ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر وعند انتهاء السنة التالية تمكن من تحرير المدينة المنورة ثمّ مكة بعد ذلك بثلاثة شهور، في حين فرّ السعوديون عائدين إلى نجد وعلى أثرهم كانت قوات محمد علي باشا التي داهمت واحتلت عاصمتهم الدرعية في العام ١٢٣٤/ ١٨١٩. أُعدم

(٢٤) "King Fahd of Saudi Arabia," advertising supplement to *the Economist*, November 17-23, 2001.

حينذاك ابنان لمحمد بن عبد الوهاب فيما أُرسل عبد الله بن سعود إلى الأستانة حيث لاقى نفس المصير تنفيذاً لفتوى أصدرها شيخ الإسلام في ذلك الوقت، مصطفى عاصم أفندي. أما بقية السعوديين-الوهابيين فقد وزِّعوا بين مواقع مختلفة من المدينة من أجل تنفيذ إعدامهم أمام الملأ كي يرى الجميع المصير الذي أعده العثمانيون - ولو في تلك المرحلة المتأخرة نسبياً من تاريخهم - لكل من سولت له نفسه الجمع بين الطموح السياسي والانحراف الديني.

(٣)

لننتقل الآن إلى مزيد من التفصيل نوعاً ما بشأن التعاليم المميزة لمحمد بن عبد الوهاب. فهي تتركز حول تعريف للتوحيد يتكون جوهرياً من ثلاثة أجزاء: «توحيد الربوبية» (الاعتراف بأنّ الله وحده يملك صفة الرب، مالك الكون وخالقه الذي بيده الموت والحياة). و«توحيد الأسماء والصفات» (وهو التأكيد على الأسماء الإلهية المذكورة في القرآن من دون أن يصاحب ذلك أية محاولة للتأويل، مع عدم السماح بأن تنسب هذه الأسماء لأيٍّ كان، ما عدا الله، حتى كلمة «الكريم» مثلا. أخيراً، «توحيد العبادة» (وذلك أن تكون العبادة كلها لله).

من وجهة نظر محمد بن عبد الوهاب، يعتبر الجزء الثالث للتعريف أكثرها أهمية، كما يفهم من خلال خطته العقائدية المتشددة وأيضاً من تقييمه المملوء بالازدراء لأحوال المسلمين على مر القرون، كما كان يزعم. ففي موقف رافض لإجماع العلماء والسوابق التاريخية، نجده يختزل الجزء الأول من التوحيد إلى مجرد اعتراف باللسان لا يشتمل بحد ذاته على أية فائدة ولا يكفي صاحبه من أجل اكتساب صفة المسلم، فهو يدعي بأنّه حتى من كان مشركاً

من عرب الجاهلية كان يعتقد بذلك.[٢٥] كما أنه لم يبد اهتماماً كبيراً بشأن التوسع في الجزء الثاني من التوحيد أيضاً، باستثناء ما كرره من مقولات ابن تيمية التي تكاد تكون موافقة لأقوال المشبِّهة. أما الجزء الثالث للتوحيد فهو، كما يرى محمد بن عبد الوهاب، الجزء الذي يمثل الحد الفاصل بين الإسلام والكفر وبين التوحيد والشرك. من بين أهم ما يستدل به على هذا الرأي هو أنّ مبدأ توحيد العبادة قد أوحي إلى النبي قبل أن يأتيه الوحي بشأن العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج، والتي مكّنت من وضع المبدأ في حيز التنفيذ، وبذلك يكون لمبدأ توحيد العبادة أفضلية على العبادات نفسها. وكما إنه لا يكفي وجود توحيد الربوبية لجعل المرء مسلماً، كذلك الأمر مع أداء العبادات، فهي لا تكفي لجعل المرء مسلماً ما دام يخترق مبدأ توحيد العبادة كما عرفته الوهابية.

اختراق كهذا يحدث كلما اشتملت العبادة، بأي شكل كان، على أي كيان غير العابد وربه. من الأمثلة الكثيرة على ذلك الدعاء الذي يذكر فيه النبي أو الأولياء الآخرون أملاً في أن يكون احتمال الاستجابة للدعاء أكبر، وذلك باستعمال عبارات مثل «بحرمة...». وكذلك «الاستعانة» أو «الاستغاثة»، طلباً للعون في أمور دنيوية أو روحية مع عبارات تشير إلى توقع العون من شخص ما بدلاً من انتظار العون من الله، حتى لو كان الشخص المذكور لا يعد أكثر من كونه مجرد قناة لتوصيل العون الإلهي؛ «التوسل» في ما يتعلق بشخص ما، مهما كانت درجته، بصفته واسطة لتسهيل وصول المرء إلى الله، هو الآخر من هذه الأمثلة؛ وكذلك إعطاء صفة الحياة والوسيلة للموتى من خلال مخاطبتهم أثناء العبادة، وإن لم يكونوا هم المقصودين

---

(٢٥) أنظر أدناه.

بالعبادة؛ وكذلك توقع الشفاعة أو الأمل في الحصول عليها من الأنبياء والأئمة والشهداء وبقية الرموز العظيمة؛ وكذلك التبرك بقبور هؤلاء والزيارة لهذه القبور إذا كانت عملاً مقصوداً بحد ذاته؛ وكذلك تشييد القباب أو الأبنية الأخرى على تلك القبور. :لذلك يعتبر خرقاً لتوحيد العبادة ويجعل من مقترفه مشركاً. بعبارة أخرى، يمكن القول إنّ توحيد العبادة لا يمكن أن يعرف إلاّ سلباً، من خلال تجنب ممارسات معينة وليس بصورة ثبوتية. هذا الأمر يجعل شيئا من خوف الانحراف المتخيَّل في قلب الوهابية ذاتها مما يعيننا على تفسير طبيعتها الرقابية. وعلى أية حال فإنّ جميع صور الانحراف المزعومة التي ذكرت يمكن إثبات صحتها ليس بالرجوع إلى الموروث وإجماع العلماء فقط، ولكن أيضاً من خلال نصوص الحديث كما فسره ذلك الجمع من العلماء، الشيعة والسنة على حد سواء، والذين تناولوا ظاهرة الوهابية. بل حتى إذا كان الأمر يختلف عما ذكرناه وكان الاعتقاد بأنّ الزيارة والتوسل أمرين صحيحين ونافعين اعتقاداً خاطئاً، فليس هناك سبب منطقي لإدانة هذا الاعتقاد باعتباره مبرراً لخروج صاحبه من الإسلام.[٢٦] لأنّ الخطأ المسبب لاعتبار الوهابيين هذه الممارسات المختلفة كلها من مظاهر الشرك هو بدوره خطأ متسبب عن التوهم بين الغايات والوسائل، ذلك بأنهم يظنون أنّ ما يطلب من الله بواسطة شخص، حياً كان أو ميتاً، إنما يُطلب في حقيقة الأمر من ذلك الشخص بمعزل عن الكرم والرحمة والإرادة الإلهية.[٢٧]

---

(٢٦) أنظر أدناه.

(٢٧) من المفيد أن نذكر هنا، على عجل، أنّ كثيراً من الترهات قد كتبت من قبل باحثين غربيين بشأن ما سموه «عبادة القبور» أو «عبادة الأولياء» في العالم الإسلامي، فهم بذلك قد قبلوا الفكرة الوهابية بأنّ زيارة قبر ما أو الصلاة عنده، وإن لم تكن موجهة لصاحب القبر، تشكل بطريقة ما نوعاً من العبادة للقبر.

لقد كانت النتيجة الطبيعية لاعتبار المسلمين من غير الوهابيين مشركين أن تكون تلك الحرب التي شنّت عليهم أكثر من مجرد حرب مباحة، بل هي حرب مفروضة؛ فسفك دمائهم صار حلالاً وأصبحت ممتلكاتهم مباحة للسلب في حين أمكن اتخاذ نسائهم وأطفالهم جواري وعبيداً. فكما أوضحت حوادث كربلاء والطائف، لم يتورع الوهابيون عن أداء واجب ارتكاب المجازر الذي فرضته عليهم عقيدتهم.

من الأمور ذات العلاقة، والتي ميزت تعاليم الوهابية، لا بد أن نذكر المفهوم الموسّع وغير المميز للبدعة. فهذا المفهوم يعرّف بأنه «أي أمر مُحدَث لم يعمل به جيل الصحابة ولا جيل التابعين، ولا يوجد دليل شرعي على ضرورته.» وهو أيضاً يعتبر عادة نقيضاً للسنة باعتباره نظيرها السلبي: إحياء السنة يتضمن إماتة البدعة.[٢٨] ولكن هناك أساليب أوسع وأكثر إيجابية لفهمه يمكن أن يصادفها المرء، فالعالم الشافعي عز الدين بن عبد السلام، مثلاً، يعتقد بأنه من المباح الحديث عن «بدعة حسنة» وأنّ جميع أنواع البدعة تقع في خمس مجموعات: واجبة ومستحبة ومباحة ومكروهة ومحرمة.[٢٩] أما محمد بن عبد الوهاب فقد اختار فهماً لمسألة البدعة يمكن اعتباره تسلسلياً (تاريخياً) وسلبياً تماماً. فالبدعة في رأيه تشمل أي مفهوم أو ممارسة دينية اكتسبت وجودها بعد القرن الثالث الهجري. وعليه فإنّ فترة التطوير المقبول لا تقتصر على الجيلين الأول والثاني من المسلمين - أي جيل الصحابة وجيل التابعين - وإنما تعدت

---

(٢٨) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت، ١٤٠٣/ ١٩٨٣، ص ٤٣.

(٢٩) Rahmi Yaran, "Bid'at," *Türkiye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi,* VI, p. 129.

ذلك لتشمل مؤسسي المذاهب السنية الأربعة. ومع ذلك فتقليد أي مذهب منها يعتبر في رأيه بدعة بسبب كونه يتضمن إعطاء سلطة لسوى القرآن والسنة. هذا ويزعم أنّ البدعة قد لفّت المجتمع الإسلامي في عدد كبير من الظواهر الأكثر خطورة، حيث تشمل القائمة، على سبيل التمثيل لا الحصر، مختلف أنواع الذكر والممارسات الصوفية وكذلك العادات الشعبية التي تتعلق بتواريخ مهمة دينياً كالعيدين وكذلك الصلاة والسلام على النبي كنوع من العبادة، وخاصة إذا كانت تصاغ على شكل عبارات منمقة كما في كتاب الجزولي **دلائل الخيرات**، الإضافة إلى أي إحياء لذكرى مولد الرسول وخاصة إذا صحبت ذلك الاحتفالات الرسمية أو إلقاء النصوص الأدبية كقصيدة البرزنجي الشهيرة. إنّ اعتقاد محمد بن عبد الوهاب بكون البدعة - ناهيك عن الشرك - قد غمرت المجتمع الإسلامي لما يقارب التسعمائة سنة هو أحد الأسباب التي أبعدته عن حركات التجديد التي عاصرته. فهذه الحركات قد تمسكت بفكرة مفادها أنّ المجتمع الإسلامي كان يمر بمرحلة تاريخية تستدعي التجديد والتطهير وأنّ هذا الأمر يمكن تحقيقه، وفقاً لنص الحديث، بظهور مجدد كلّ مائة عام. ولكن من وجهة نظر محمد بن عبد الوهاب، يبدو أنه لم يظهر مجدد كهذا منذ سنة ٢٩٩ للهجرة، وإن كان قد ظهر فقد فشل في وقف الانتشار الواسع للبدعة، وعليه فإنّ الإسلام قد كان معطلاً بصفته العملية لمدة ستمائة سنة أو أكثر؛ فمحمد بن عبد الوهاب لم يستنكر ويقاتل معاصريه فقط، وإنما كان في حرب مع أسلافهم أيضاً.

(٤)

حالما غادرت قوات محمد علي باشا أعادت الحركة السعودية-الوهابية تشكيلها تدريجياً في موطنها الأصلي، نجد، واتخذت الرياض عاصمتها الجديدة، وبعد ما يقرب من عشر سنوات سيطرت على الأحساء. وبنفس الطريقة، في عام ١٢٤٨/ ١٨٣٢ تمكنت حملة عسكرية ضد عمان من إقناع سلطان مسقط ليقدم الطاعة للرياض. أما الاتجاه التوسعي نحو الشرق فقد كان مصادفة سعيدة إذ وضع السعوديين في نهاية المطاف على اتصال مع البريطانيين الذين لم يكونوا بصدد تدعيم هيمنتهم على منطقة الخليج فحسب، وإنما كانوا أيضاً قد شرعوا بوضع الخطط لتقطيع أوصال الدولة العثمانية.[٣٠] كان أول اتصال بين الطرفين في عام

---

(٣٠) ربما كان من الملائم هنا التطرق إلى نظرية المؤامرة التي تنسب بدء الحركة الوهابية نفسها إلى القوة الشيطانية البريطانية، بدلاً من نسبتها ببساطة إلى المملكة العربية السعودية. هذه النظرية ولدت من رحم كتاب يدعى «**مذكرات مستر همفر**» وهو كتاب زعم بأنه يمثل مذكرات لعميل بريطاني في الشرق الأوسط في بداية القرن الثامن عشر، والعنوان الفرعي للكتاب هو «**الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية.**» من المثير فعلاً كون المذكرات المزعومة توجد باللغة العربية فقط ويزعم بأنها ترجمت إلى تلك اللغة بواسطة رجل مجهول يعرف باسم الدكتور ج.خ. أما النسخة الإنجليزية الوحيدة فقد نشرها مجموعة من المعادين للوهابية المتحمسين في =

١٨٦٥ ثمّ بدأت المعونات البريطانية تتدفق نحو خزائن العائلة السعودية بشكل دائم في حين كانت الحرب العالمية الأولى تقترب من الاندلاع. لقد نضجت هذه العلاقة تماماً خلال الحرب. ففي عام ١٩١٥ وقع البريطانيون مع حاكم السعودية آنذاك، عبد العزيز بن سعود (ابن سعود)، واحداً من تلك العقود التي كانت تدعى مجازاً «معاهدات صداقة وتعاون.» لا شك في أنّ المال كان المرطِّب الأساسي للصداقة والتعاون، فمع حلول عام ١٩١٧ كان الحاكم السعودي يتسلّم خمسة آلاف جنيه إسترليني كل بداية شهر، ولم يكن ذلك مبلغاً هيناً بالنسبة لأحد المأجورين للإمبراطورية البريطانية. كذلك فقد ارتأى البريطانيون بكرمهم المعهود أن يخلعوا لقب الملك على حامي حمى الوهابية.[٣١] (في السنوات التي تلت

= الأستانة، ويبدو أنها ترجمت من العربية بصورة غير متقنة. يبدو أنّ السيد همفر قد تقمص دوره كعميل سري بشكل تام إلى درجة أنه كان يعتمد التاريخ الهجري مفضلاً إياه على التاريخ المسيحي. ومن بين العلامات الأخرى على زيف هذه الوثيقة نذكر تلك الإشارات إلى تشجيع الحس القومي كوسيلة لتعزيز الوحدة الإسلامية - كان هذا في وقت ما كادت فيه النزعة القومية تبدأ في أوربا بعد - وكذلك المشورة بتشجيع تقليل الإنجاب لوقف النمو السكاني في العالم الإسلامي، والحاجة إلى نفي اللغة العربية من خلال تشجيع «اللغات المحلية مثل اللغة السنسكريتية.» ومن خلال كثرة الإشارات الإيجابية للتشيع، يمكن الظن بأنّ المؤلف شيعي. لقد كان من الأفضل له أن يترك مهمة تفنيد آراء الوهابية للعلماء من أمثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي اخترنا من بين أعماله في هذا المجال نصاً ألحقناه بهذه المقالة. نسخة «**مذكرات همفر**» التي هي بحوزة كاتب هذه المقالة، والتي حصل عليها في طهران، تحمل في نهايتها تأريخ الأول من شباط عام ١٩٧٣. ليس من الواضح ما أهمية هذا التاريخ، كما أنه ليست هنالك إشارة إلى مكان النشر.

(٣١) كان البريطانيون، في غمرة حماسهم للسيطرة على الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، منهمكين بسكّ النياشين وتوزيع الألقاب الملكية. فقد كان من بين =

ذلك استمرت مراعاة هذه المجاملات؛ ففي عام ١٩٣٥ جُعل عبد العزيز بن سعود فارساً؛ وبنفس الطريقة التُقِطت صورة للملك فهد، «خادم الحرمين الشريفين»، لدى زيارته للملكة أليزابث عام ١٩٨٦، حيث وقف وشارة الفارس الصليبية الشكل حول عنقه.[٣٢] لقد كانت المطالب البريطانية من الدويلة الوهابية-السعودية متواضعة جدا: أن تقوم جيوشها - المدعومة بالأسلحة والخبرات البريطانية - بمهاجمة بني رشيد، الحلفاء الرئيسيين للعثمانيين في شمال شرقي الجزيرة العربية، وأن تمنع العثمانيين أنفسهم من الحصول على موطئ قدم على الساحل الجنوبي للخليج. لقد نفِّذت هذه المهمات بأمانة تامة.

لكنّ الأمور كانت أكثر تعقيداً، فالبريطانيون لم يكونوا قد أعطوا ابن سعود الرخصة بعدُ في احتلال شبه الجزيرة العربية بكاملها. حيث أنهم، وحسب خداعهم الذي تضرب به الأمثال، كانوا يمتلكون أكثر من متعاون في الجزيرة في نفس الوقت. لقد كانوا

= أولئك المستفيدين من كرمهم آنذاك عبد البهاء، نجل بهاء الله - مبتدع البهائية. فرغم أنّ أحد أتباعه قد مدحه بالقول إنه كان «سر الله». أنظر كتاب E. G. Browne, *A Literary History of Persia Cambridge*, 1924, IV, p. 207. لقد رضي عبد البهاء بأدب في عام ١٩٢٠ أن يتسلّم لقبا أقل رفعة نوعا ما - فارس للإمبراطورية البريطانية (Alessandro Bausani, "Abd-al-Baha'," *Encyclopedia Iranica*, I, p. 103). وهكذا فقد انهمر غيث الكرم البريطاني بلا تمييز ليشمل الوهابي والبهائي معاً.

(٣٢) من أجل الحصول على صورة كاملة الألوان لهذا اللقاء التاريخي، أنظر Fouad al-Farsy, *Custodian of the Two Holy Mosques King Fahd bin Abdul Aziz*, Guernsey, Channel Islands, 2001, p. 214. ليس من المعروف إذا كان الانبهار الغريب بمارغريت تاتشر والذي اعترف به الملك فهد فيما بعد هو سبب تدعيم أسس المودة الأنجلو-سعودية.

أيضاً على اتصال مع الشريف حسين، حاكم مكة الذي خلف السلالة الهاشمية التي لا تزال تنتج خدماً أمناء على المصالح الأجنبية حتى اليوم، (هذا النوع من الشخصيات يدعى عادة بـ«الحكام العرب المعتدلين» في لغة الإعلام الغربي). كان البريطانيون قد شجعوه - أي الشريف حسين - بواسطة الأموال والحوافز الأخرى للثورة على العثمانيين باسم أمة عربية موحدة سوف يصبح هو ملكها. من المهم ذكره هنا هو أنّ البريطانيين فرضوا على الشريف حسين شرطاً أساسياً من أجل الحصول على دعمهم، ذلك هو الاعتراف بالوضع المميز الذي حصل عليه السعوديون في نجد وفي بقية الأنحاء الشرقية للجزيرة العربية.

إنّ نتائج الحرب العالمية الأولى ومخلفاتها في الجزيرة العربية معروفة للجميع. فقد كان اثنان من المسؤولين البريطانيين، كل منهما بغيض بشكل ملحوظ - حتى لو أخذنا طبيعة الطبقة البريطانية الحاكمة في أيام عزّها - قد طالبا بالمصالح المتنافسة لكل من عميليهما: ت إي لورنس تبنى العائلة الهاشمية، في حين دافع جون («عبد الله») فيلبي عن السعوديين.[٣٣] كان الشريف حسين قد اقترف خطأً كبيراً بتصديقه بأنّ وعود البريطانيين، وهم في حالة حرب، بدولة عربية موحدة تحت إمرته، يمكن أن تحمل على محمل الجد، فأصبح يشكل لهم مصدراً للإزعاج. أضف إلى ذلك

---

(٣٣) لقد كانت حظوظ لورنس وفيلبي صورة طبق الأصل لحظوظ عميليهما لدرجة كبيرة. فالشريف حسين خسر المملكة العربية الموحدة التي وُعِد بها في ذات الوقت الذي خسر لورنس رأسه في حادث دراجة نارية غريب. أما ابن سعود فقد احتل معظم الجزيرة العربية في حين كوفئ فيلبي بوكالة ممتازة لشركة فورد في المملكة الوهابية، ناهيك عن سيل لا ينقطع من العرائس المراهقات اللواتي وضعن تحت تصرفه بموجب قوانين حسن الضيافة.

كونه كان يفتقر إلى قوة عسكرية منظمة يمكنها أن تسيطر على جميع أنحاء الجزيرة العربية لتوفير الاستقرار الذي كان مطلوباً من أجل تأمين المصالح البريطانية، خلافاً لما كان عليه الحال مع السعوديين، فهذا ما كان متوفراً عند ابن سعود من خلال تحالفه مع «الإخوان» ذوي السمعة السيئة، فهم كانوا جند الصِّدام وحماة الوهابية. وهكذا فقد أسقط الهاشميون من جميع الحسابات وأعطي الضوء الأخضر لابن سعود لكي يحتل جزيرة العرب بكاملها. هذا التوسع السعودي في طول الجزيرة وعرضها، والذي لم يكن تطوراً عفوياً أو منفصلاً عن بقية الأحداث التي عاصرته، يجب أن يفهم في السياق العام للتصور الخاص بالشرق الأوسط الذي كان يتشكل تحت الرعاية البريطانية الكريمة، وهم فعلاً كرماء حين يتعلق الأمر بأراضٍ ليست لهم. فالتوسع السعودي كان يشكل نمطاً مشابهاً لنمط تقسيم الأرض العربية في الهلال الخصيب إلى وحدات اصطناعية، وعملية زرع الصهيونية في فلسطين تحت نظام الحماية البريطانية، وكذلك تأسيس الجمهورية التركية «العلمانية»، وظهور السلالة البهلوية في إيران.

هذا ولم يكن تأسيس المملكة العربية السعودية عملاً سلمياً. لقد كلف الغزو الوهابي-السعودي للجزيرة ما يقارب الأربعمائة ألف نفس بين قتيل وجريح. ففي مدن معينة مثل الطائف وبُرَيدة ارتكب «الإخوان» مجازر علنية، في حين ذكر أنّ حكام المناطق المختلفة الذين عينهم ابن سعود قد نفذوا أربعين ألف عملية إعدام علنية وثلاثمائة عملية قطع للأيدي في محاولة لإخضاع الجزيرة العربية. كما حظيت الأغلبية الشيعية في الأحساء باهتمام خاص: إذ عيّن ابن سعود ابن عمه، عبد الله بن مسلّم الجلوي، لترويضهم، وهو الذي يمكن أن يعد أشرس جزاري العائلة، بعد الملك طبعاً؛ فقد نفذ

مهمته من خلال إعدام آلاف الأشخاص وإهلاك القيادات الدينية والعشائرية للمجتمع الشيعي. هذا وقد شُوِّهت مكة والمدينة مرة أخرى بعد احتلالهما عام ١٩٢٥، وذلك من خلال فرض التعاليم والممارسات الوهابية. ورغم أنّ محاولة جديدة لهدم قبة المسجد النبوي قد فشلت، إلا أن كثيراً من المواقع التاريخية التي نجت من التخريب أيام الاحتلال الوهابي الأول لم يقدّر لها أن تنجو هذه المرة.[٣٤] (من المثير أنّه رغم كون العقيدة الوهابية مهووسة بالشر الناجم عن بناء القباب فوق القبور، يبدو أنّ القصور العالية التي بناها الحكام السعوديون قد تهرّبت من المنع الذي أوصى به مؤسسو هذه الطائفة). هذا وقد منع التدخين مرة أخرى باسم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وعوقب الرجال الذين لم يطلقوا اللحى بطول كاف، كما منعت الموسيقى واعتبرت أصص الورد مهينة للأخلاق العامة بسبب ألوانها البراقة، فهشِّمت.[٣٥] لكنّ بعض هذه القوانين قد عطِّلت بسبب ضرورة التنازل لمصلحة المشاعر الإسلامية في ما يتعلق بإدارة الحرمين الشريفين، والتي فرضت نفسها مع الوقت. ولكن مما لا ينكر أيضاً أنّ دور الحرمين لأكثر من ألف سنة

---

(٣٤) من أجل الاطلاع على أدلة بشأن تدمير المواقع التاريخية التي تمتلك طابعاً دينياً منذ بدية الإسلام وحتى الوقت الحاضر كسياسة وهابية–سعودية علنية، أنظر Where the Prophet Trod, He Begs, Tread Lightly, *New York Times*, February 15, 2002. من الأمور المهمة في هذه المقالة الفتوى رقم ١٦٦٢٦ التي أصدرها عبد العزيز بن عبد الله بن باز عام ١٩٩٤ والتي تتضمن قوله: «لا يجوز تعظيم البنايات والمواقع التاريخية. هذا العمل سيؤدي إلى الشرك لأنّ الناس قد يظنون أنّ هذه الأماكن لها قيمة روحية.»

(٣٥) للوقوف على تفاصيل هذه التطورات، أنظر: Said K. Aburish, *The Rise, Corruption and Coming Fall of the House of Saud*, London, 1994, pp. 20-27.

كمركزين للبحث العلمي الإسلامي والتبادل الفكري، وكونهما موضع المعلمين والطلاب من أماكن غاية في البعد مثل أواسط آسيا وإندونيسيا وماليزيا وجنوب الصحراء الأفريقية والهند، قد انتهى بشكل تام. فاليد الوهابية الصماء لم تترك شيئا في مكانه، إلا بعض الحلقات الدراسية شبه السرية. أما جميع المعاهد التي توجد في مكة والمدينة الآن فهي مما يسمى، جوراً على الحقيقة، «جامعات» وهي مخصصة حصرا للترويج للوهابية.

ليس في صلب اهتمام هذه المقالة عرض تاريخ العائلة السعودية الذي خلف هذه الأحداث وحصولهم على الثروة النفطية واستبدال البريطانيين بالأمريكيين كحماة لهم. ولكن من المناسب هنا أن نتعرض لمحاولات النظام السعودي للترويج للوهابية خارج الجزيرة العربية.

لقد ذكرنا سابقا أنّ الوهابية كان لها صدى ضئيل خارج الجزيرة العربية عندما ظهرت أول مرة على مسرح الأحداث. ولكنّ الكتاب الغربيين قد سببوا بعض الإرباك حينما ألصقوا ختم الوهابية على عدد من الحركات الإسلامية التي حملت القليل جداً من وجوه الشبه مع الطائفة الوهابية، مثل مجموعة «أهل الحديث» في الهند. وكذلك قد أطلقت السلطات القيصرية ومن بعدها السوفيتية وحتى ما بعد السوفيتية صفة الوهابية تقريباً على جميع الحركات الإسلامية المقاومة للهيمنة الروسية في شمال القوقاز ووسط آسيا. (ربما كانت نسبة التوسع العالمي للوهابية هي إحدى أقدم الدلالات على النزعة الغربية لربط جميع الحركات الإسلامية بمصدر واحد لا شك في خبثه). في الحقيقة، إنّ الحركة الوحيدة التي يمكن تتبع جذورها إلى الوهابية في القرن هي ثورة الـ«بادري» Padri في مرتفعات مينانكّاباو في جزيرة سومطرة، والتي قادها رجل يدعى الحاج مسكين، وقد كان

هذا الرجل في مكة أيام الاحتلال الوهابي القصير لها عام ١٨٠٣.[٣٦]

لقد ألغيت وسائل الترويج المعتمدة على التوسع العسكري منذ ١٩٢٩ حين أقنع أسياد ابن سعود البريطانيون «الإخوان» من غزو العراق، إذ أمطروا عليهم وابلاً من القنابل من طائراتهم، وهي طبعاً طريقتهم المفضلة في إحلال النظام في الشرق الأوسط. أما بشأن الترويج السلمي فقد كان أول المبشرين بالنظام السعودي الصاعد - ويا للعجب - كاتبان عربيان مسيحيان هما أمين الريحاني وجورج أنطونيوس. ومع ذلك، فلم يطل الانتظار لكي يظهر مدافع مسلم من خارج الجزيرة العربية. كان ذلك رشيد رضا (ت ١٩٣٥) والذي اتهم بالوهابية في بلده، سوريا، في عام ١٩٠٩.[٣٧] فبعد زيارة للحجاز الذي كان قد احتُلّ حديثاً، نشر كتاباً يمدح فيه الحاكم السعودي معتبراً إياه منقذ الحرمين وحاملاً للعقيدة الإسلامية الأصيلة، وأتبعه بعد ذلك بمجموعة مختارة من الرسائل الوهابية بعد مرور سنتين.[٣٨] نحن نتذكر أنّ نهاية الحرب العالمية الأولى قد شهدت هدم الدولة العثمانية وكذلك فشل الشريف حسين في الحصول على مملكة عربية أو الحصول على قبول عربي له كمرشح للخلافة. لذلك لم يكن من المفاجئ أن يبدأ أشخاص سلفيّو النزعة، من أمثال رشيد رضا، هائمون في الأرض بحثا عن بطل لهم،

---

(٣٦) Christine Dobbin, *Islamic Revivalism in a Changing Peasant Economy: Central Sumatra, 1784-1847*, London and Malmo, 1983, pp. 128-149.

(٣٧) من أجل الاطلاع على النزعات الوهابية لرشيد رضا، أنظر David Dean Commins, *Islamic Reform: Politics and Social Change in Late Ottoman Syria*, Oxford, 1990, pp. 129-131.

(٣٨) رشيد رضا، **الوهابيون والحجاز**، القاهرة، ١٣٤٤/١٩٢٨.

ينظرون إلى ابن سعود باحترام ويعبرون عن تعاطفهم مع الوهابية.

لقد كان للسلفية اشتراك مع الوهابية في عناصر معينة، لعل أهمها هو الاشمئزاز من جميع التطورات التي حصلت بعد السلف الصالح (وهو تعبير يشير عموماً إلى الجيلين الأول والثاني في تاريخ الإسلام)، وكذلك الرفض للتصوف، وهجرهم لتعاليم أحد المذاهب السنية الأربعة. فبعد ما يقارب الأربعين سنة من الغزو الوهابي للحجاز، اتخذت الحركة السلفية - وخصوصا في مصر - منعطفاً نحو الراديكالية وبدأت بوصف المجتمع الإسلامي المعاصر بأنه جاهلية جديدة.[٣٩] قد يشخَّص في هذا التطور صدى متأخر للإلغاء الوهابي لجميع المسلمين باعتبارهم مشركين. ومع ذلك فهنالك صفتان مهمتان تساعدان في تمييز السلفية عن الوهابية: الاعتماد على الإقناع، بدلاً عن القسر، في كسب المسلمين الآخرين للوقوف إلى جانب قضيتهم، وكذلك وجود وعي دقيق بالأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجه العالم الإسلامي.

وعلى أية حال، فلم تتولد علاقة قريبة بين السلفية والوهابية حتى ستينيات القرن العشرين، ليس نتيجة لترويج الوهابية الممول بدولارات النفط حسب، وإنما أيضاً بسبب الظروف السياسية للعالم العربي. لقد بدأ حينذاك ما وصف صدقا بـ«الحرب العربية الباردة»؛ وهي حالة نزاع بين أطراف كانت تقودها مصر وأتباعها من جهة، والسعودية وأصدقاؤها من الجهة المقابلة. فالنظام السعودي الذي بات مهدداً من قبل شعبية جمال عبد الناصر اتخذ تدابيره من أجل

---

(٣٩) يتضح هذا تماماً في مختلف أعمال سيد قطب (ت ١٩٦٦)، وخصوصاً في كتابه **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ترجمه John B. Hardie، وكذلك في كتاب أخيه، محمد قطب، **جاهلية القرن العشرين**، القاهرة ١٩٦٤.

ضمان البقاء. فعلى الصعيد السياسي، خاض النظام السعودي حرباً غير مباشرة ضد مصر بواسطة عملائه في اليمن؛ أما على الصعيد السياسي فقد انهمك في ممارسات دعائية لـ«الوحدة الإسلامية» بالتعاون مع حماة غير متوقَّعين للإسلام، من أمثال الرئيس التونسي [الحبيب] بو رقيبة وشاه إيران.[٤٠] أما على الصعيد الإيديولوجي فقد أسس في عام ١٩٦٢ منظمة تدعى رابطة العالم الإسلامي - ليس من قبيل الصدفة أن تكون هذه هي أيضا السنة التي قامت فيها الثورة الجمهورية في اليمن الجارة.

لقد نشأت العلاقة الوثيقة بين الوهابية والسلفية في قلب هذه المنظمة التي أُريدَ لها أن تغطي على بقية المنظمات الإسلامية الدولية؛ فقد التقى مؤتمرها التأسيسيّ لأول مرة في كانون الأول من عام ١٩٦٢ برئاسة المفتي العام للمملكة السعودية، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي يعود نسبه إلى محمد بن عبد الوهاب، في حين بقيت رئاستها حتى الآن في حوزة المفتي العام للسعودية. وكان من بين الأعضاء الثمانية الآخرين ممثلون للنزعة السلفية هم: سعيد رمضان، زوج ابنة مؤسس حركة الإخوان المسلمين في مصر، حسن البنّا، وكل يدعي خلافة البنّا؛ ومولانا أبو الأعلى مودودي (ت ١٩٧٩)، وهو قائد الحركة المسماة «جماعةِ إسلامي» في باكستان؛

---

(٤٠) من المهم الإشارة إلى أنه حين ظهر في إيران نظام إسلامي يتمتع بالمصداقية، نتيجة للثورة الإسلامية، كانت السعودية من بين أكثر الخصوم نشاطاً وتصميماً على وأد الجمهورية الإسلامية الوليدة. فقد نسيت «الوحدة الإسلامية» عبر مياه الخليج بسرعة فائقة. في الحقيقة، لقد أعطى السعوديون في عام ١٩٨١ عشرة ملايين دولار لعقيد في القوة الجوية الإيرانية للقيام بانقلاب عسكري كان سيتضمن قصف منزل الإمام الخميني شمال طهران؛ لكنّ المحاولة الانقلابية اكتشفت وأحبطت بشكل حازم.

ومولانا أبو الحسن نَدوي (ت ٢٠٠٠) ذو الأصل الهندي. وفقاً للقانون الأساسي للرابطة، كان السكرتير العام لها مواطنا سعوديا على مر السنين، فكان أول من تولى المنصب محمد سرور الصبان (ت ١٩٧٢). لذلك لا يمكن أن يلام أعضاء حركة الإخوان المسلمين المصريين (ومن ثمَّ السوريين) كثيراً بشأن وقوفهم في صف المملكة العربية السعودية، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الاضطهاد الذي سلِّط عليهم في بلديهم، كما يمكن أن يقال بأنّ هؤلاء السلفيين قد تمكنوا من تليين الفظاظة التقليدية للوهابية ولو بعض الشيء، على الأقل في الجانب المؤسساتي. لكن لم يكن للآخرين مثل هذا العذر، ولذلك كان هنالك ثمن سياسي يجب دفعه على أية حال: الدعم المعلن أو الخفي لسياسات الحكومة السعودية، لأنّ المادة الرابعة من ميثاق الرابطة ينص على تجنيدها للعمل من أجل تحقيق «الوحدة الإسلامية» كما نظّر لها النظام السعودي.(٤١)

لقد فعلت رابطة العالم الإسلامي كلَّ ما بوسعها لتكون كما يدل عنوانها عليها، من خلال افتتاح مكاتب وفروع لها في جميع أصقاع الأرض؛ فقد تركزت تلك الفروع في أوربا وجنوب آسيا وجنوب شرقها، ولكن تركزها الأكثر شدة كان في أفريقيا. كان أحد أهم مهمات هذه المكاتب، كما تشير صفحة الرابطة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) هو «طرد النزعات والعقائد المعادية». هذا يعني عموماً الترويج للوهابية على حساب التقاليد الإسلامية

(٤١) من أجل الاطلاع على عرض شامل لموضوع رابطة العالم الإسلامي، أنظر:
Reinhard Schulze, *Islamischer Internationalismus im Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der islamischen Weltliga*, Leiden, 1990.

المحلية، وهي مهمة شارك فيها بحماس خريجو ما يسمى بجامعة المدينة الإسلامية العائدون لبلادهم. فقد استُنكرت التقاليد الصوفية، الموغلة في القدم، باعتبارها بدعة، وهذا بالطبع تصرف مسبب للانقسام والتناحر، خصوصا في البلدان الأفريقية حيث كان اتباع الإسلام متصلاً دائماً مع اعتناق طريقة صوفية ما. هذا وقد تعرض الاحتفال بمولد النبي هو الآخر للهجوم مما أدى إلى نتائج مشابهة من الفرقة والصراع.(٤٢)

كما عملت بعض المنظمات الطلابية، التي دعمتها السعودية، أحياناً كقنوات للترويج للوهابية في الخارج، خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أُسّست المنظمة الإسلامية لطلبة شمال أمريكا وكندا في عام ١٩٦٣، وبعد سنة واحدة من تأسيس رابطة العالم الإسلامي التي ارتبطت معها بعلاقات وثيقة. فلم يُسمح بأي انتقاد للمملكة العربية السعودية في المؤتمرات السنوية للمنظمة، خصوصاً في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، في حين كان ينظر إلى الملك فيصل على أنه الحامي المقدام للإسلام. هذا وقد وفرت فروعها المتعددة عند كل صلاة جمعة أكواماً من منشورات الرابطة باللغتين الإنجليزية والعربية، وليس هناك من شكّ بأنها قد سعت بكل طاقتها لمنع نشر «النزعات والعقائد المعادية». كان الراحل إسماعيل الفاروقي هو المرشد الفكري للمنظمة الإسلامية لطلبة شمال أمريكا وكندا لسنوات عديدة، وقد ذكرنا سابقا بطولاته في محاولة الرفع من المستوى الفكري لمحمد بن عبد الوهاب. ورغم تنويع المنظمة لعلاقاتها مع الدول الإسلامية، فقد بقي القبول

(٤٢) بنيت هذه الملاحظات على زيارة لنيروبي وومباسا وماليندي وجزيرة لامو في عام ١٩٨٥.

الرسمي للوهابية حاضراً بقوة. ففي عام ١٩٨٠ رأى ذراعها المختص بالنشر أنه من الصحيح أن ينتج ترجمة (أو تطويل) الفاروقي لثلاث رسائل كتبها محمد عبد الوهاب، وقد نشرت تحت عنوان «**مصادر الفكر الإسلامي**». قد يبدو محيراً، لدى النظرة الأولى، أن ينجذب طلبة يسعون في التحصيل العلمي العالي إلى القراءة الوهابية للإسلام. ولكن، من ناحية أخرى، يمكن أن يكون هذا الانجذاب طبيعياً: فقد برمجتهم النظرة النمطية العقلانية للعالم، والتي تنتجها دراساتهم للهندسة والعلوم الطبيعية، ليروا في الوهابية نوعاً من «العقلانية الإسلامية» التي أسقطت عنها تحسينات وغموض الجدل الفقهي وتعقيدات علم الكلام وخفايا التصوف التي كان يشكى من كونها «تراكمات إضافية». يمكن القول بأنّه، ومن هذا المنطلق بالتحديد، كان الفاروقي محقاً في قوله بأنّ «الدرعية أصبحت أعظم عاصمة للحداثة الإسلامية من دون أن تتعرض لأيّ من تأثيرات الحداثة.»[٤٣] في عام ١٩٨٠ تفرعت من المنظمة الإسلامية للطلبة منظمة طلابية أخرى لا تزال تحمل نفس الاسم إذ سُمّيت المجتمع الإسلامي لشمال أمريكا، وهي اليوم أكبر منظمة إسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، عاكسة بذلك - ولو بمقياس غير متكافئ - الأطياف الواسعة للنزعات والميول في المجتمع. وعلى نحو مشابه، تعكس المئات من المجموعات الطلابية المسلمة التي تنشط الآن في الولايات المتحدة مدى واسعاً من الآراء وهي بذلك عصيّة على أي تقنين وصفي.

لقد أدى التعاون بين المنظمة الإسلامية للطلبة والمنظمات المماثلة في أماكن أخرى من العالم إلى تأسيس الفدرالية الإسلامية

(٤٣) مقدمة لترجمة «كتاب التوحيد»، ص ١٤.

العالمية للمنظمات الطلابية عام ١٩٦٦، وهي منظمة تميزت «بعلاقتها الحميمة مع رابطة العالم الإسلامي.» فهذه الفدرالية تتقاطع مع الجمعية العالمية للشباب الإسلامي من خلال وجود السكرتير العام للأخيرة كعضو خارجي ضمن تشكيلة الهيئة الإدارية للفدرالية. فقد تأسست الجمعية العالمية للشباب الإسلامي عام ١٩٧٢ وبموجب صدفة غريبة حقاً أن يكون مقرها في الرياض.[٤٤] ومما يستحق الذكر أيضاً هو ذلك الفهم المطاطي لمفهوم «الشباب» الذي انتفع منه بعض أعضاء الجمعية المعمّرين الذين قادوها في السنوات العشر الأولى.

ومن بين الأدوات واسعة الانتشار لتعاليم الوهابية مجلة تدعى «الجمعة»، وهي دورية تصدر باللغة الإنجليزية أسست عام ١٩٩١ وتشرف عليها «فرق عمل» من الولايات المتحدة ومن لندن ومن المملكة العربية السعودية، ويصفها العاملون عليها بأنها «دليلك إلى حياة إسلامية.» فهي تجند نفسها لـ«تصحيح العقيدة» (أي تفنيد التفسيرات غير الوهابية للإسلام)، ونشر الفتاوى التي غالباً ما تكون تحريمية بطابعها في أمور تتعلق بكل تفاصيل الحياة اليومية. ومع ذلك فهي بعيدة كل البعد عن المظهر البائس، إذ أنها تطبع على ورق لماع، بل وتحتوي على صور لأشخاص حقيقيين، ولو أنها - أي الصور - عادة ما تقصّ بصورة مريبة، تماشيا مع المنع الوهابي الذي يشمل حتى تمثيل الكائنات الحية من خلال الصور ذات البعدين. ومما يستحق الذكر كذلك ترجمة للقرآن الكريم أعدّها محمد تقي

---

(٤٤) Sayyid Muhammad Syeed, "International Islamic Federation of Student Organizations," *Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World*, Oxford, 1995, II, pp. 207-209.

الدين الهلالي ومحمد محسن وطبعت في الرياض عام ١٩٩٤ وهي تحمل الموافقة الخطية للمفتي السعودي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.[٤٥] يقول المترجمان في خاتمة الكتاب، من بين أشياء أخرى: «لقد لاحظنا أنّ معظم البشر الذين يعتنقون الإسلام (هكذا) لا يفهمون حقيقة معنى أول مبادئ الإسلام، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.»[٤٦] فخلف هذه العبارة الغريبة يقبع الإلغاء الوهابي الكلاسيكي للغالبية العظمى من المسلمين باعتبارهم يمارسون الشرك.

ورغم كل تلك الجهود، فلم تتفوق الوهابية على أية حال. ففي أجزاء كثيرة من الشرق الأوسط أظهرت الطرق الصوفية ممانعة وحيوية أذهلت الوهابيين والباحثين الغربيين على حد سواء. بينما تظل بعض مناطق العالم الإسلامي عرضة لتأثير الوهابية، خصوصاً تلك التي خرجت لتوها من أحقاب الحكم الشيوعي والحروب التي تلته. فليس هنالك من ينكر نجاح الوهابية في جمهوريات وسط آسيا وفي شمال القوقاز، ولو أقل حدة مما تدّعيه موسكو. كما أنّ البؤس الذي عانى منه مسلمو البوسنة في السنوات الماضية قد ركزت عليه واستغلته أطراف خارجية مختلفة، لعل أهم هذه الأطراف هم الوهابيون، من أجل ترويج فهمهم الخاص للإسلام على حساب التقاليد المحلية. هذه الجهود تضمنت بعداً معمارياً بالإضافة إلى البعد العقائدي؛ فكأنّ عمليات السلب التي نفذها الصرب والكرواتيون خلال الحرب لم تكن لتكفي، إذ شملت الجهود

---

(٤٥) *Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language*, Riyad, 1994, p1011.

(٤٦) قد يتساءل المرء عما إذا كان مستوى معرفة المفتي باللغة الإنجليزية كافيا ليؤهله للحكم على دقة الترجمة.

الوهابية في البوسنة عمليات هدم وتشويه باسم إعادة البناء. ففي الجامع الرئيس لمدينة سراييفو المسمى Gazihusrevbegova Džamija وضع الطلاء الأبيض على فسيفساء الجدران حتى أنه لولا الفراش المبسوط على الأرض لاتخذ الهيكل الداخلي للجامع طابعاً «جمالياً» خلاباً كذلك الذي تتمتع به ردهة في إحدى المستشفيات. هذا في حين تذكّر اللافتات الملصقة على مدخل هذا المسجد وغيره من المساجد الأخرى العُبّاد بأنّ «الترميم» الذي سيتمتعون به آتٍ من الكرم السعودي. لكنّ بعض هذه اللافتات قد جرى تشويهها من قبل بعض البوسنيين الذين لم يعترفوا بـ«الجميل». كما أنّ مسجداً قد بني حديثاً في مدينة زنيتشا Zenica وبنفس الأسلوب الخالي من التجميل الداخلي، وبفضل التمويل السعودي أيضاً، حاثّاً المصلي على تذكّر ذلك كلما ركع أو سجد، فكلّ حيّز من السجاد الذي يغطي الأرضية طبعت عليه عبارة «هدية من المملكة العربية السعودية» باللغتين العربية والبوسنية.[٤٧] هذا وقد كثرت التقارير عن التخريب الوهابي للشواهد الإسلامية في كوسوفو والشيشان وحضرموت.

هنالك سبب وجيه لاعتبار نظام طالبان المنحرف والهش، الذي لم يعد له وجود الآن لحسن الطالع، صورةً من صور الوهابية، على الرغم من أنّ مسلكه الفقهي حنفي وليس حنبلياً، وأنّ الحركة تدين بتماسكها لكرم الاستثمار المالي الباكستاني، فقد جندت لها باكستان مواردها العسكرية ومخابراتها. بدأت الاتصالات الرسمية بين السعودية وطالبان في عام ١٩٩٥ عندما رتب مولانا فضل الرحمن، زعيم «جماعةِ علماءِ إسلام» الباكستانية رحلة صيد لبعض الأمراء

---

(٤٧) هذا ما شاهده كاتب هذه السطور أثناء زيارته للبوسنة في عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩.

السعوديين في منطقة قندهار. كانت الاعتبارات الإيديولوجية أكثر أهمية من متعة الطرد بالنسبة لرجال الدين الوهابيين الذين وجدوا في حركة طالبان ضالتهم، فهم مشروع تجنيد ممتاز لخدمة أهداف الوهابية، ولذلك فقد نجحوا في إقناع النظام السعودي لمدّ يد العون الأخوية إلى طالبان.(٤٨) في عام ١٩٩٧ قام أحد قادة طالبان، ملا رباني (يستحسن ألا يخلط بينه وبين برهان الدين رباني، رئيس أفغانستان في مرحلة ما قبل طالبان والذي عاد إلى العمل الآن بمساعدة القوة الجوية الأمريكية) بزيارة إلى الرياض استطاع في ختامها أن يقول: «لقد عبر الملك فهد عن سروره بالقوانين الجيدة التي اتخذها طالبان لفرض لتطبيق الشريعة في بلادنا.» (هذا ما ذكره روبرت فسك في مقالته «السعوديون يديرون ظهورهم لطالبان»، صحيفة الاندبندنت، ٢٧ أيلول ٢٠٠٠). من الممكن جداً أن يفسَّر العداء السام الذي أبداه طالبان تجاه قبائل الهزارا من خلال هُويتهم الشيعية - لقد تمثل ذلك العداء بمذبحة شملت ما يقارب الخمسة آلاف نفس بعد غزو طالبان الثاني لمدينة مزارِ شريف عام ١٩٩٨، وكذلك الأعمال الوحشية الأخرى في منطقة باميان واتخاذ نساء الهزارا السبايا جواري.(٤٩) ومن بقايا الوهابية الكلاسيكية أيضاً اتخاذ

---

(٤٨) Ahmed Rashid, *Taliban: Militant Islam, Oil and Fundamentalism in Central Asia*, New Haven and London, 2000, p. 201.

(٤٩) من أجل أن أكون عادلاً هنا، يتوجب أن أذكر الآتي: كنت حاضراً للقاء عام مع آية الله السيد علي خامنئي في حزيران ١٩٩٧ حيث اشتكى اثنان من ممثلي منظمة شيعية أفغانية مما أسموه قلة الدعم الإيراني لهم في سبيل نضالهم من أجل البقاء. في جوابه لهم، وبخ آية الله خامنئي المنظمة المذكورة لاعتمادها على نفس الوحشية أثناء صراعها مع طالبان. ربما كان يفكر حينذاك بمذبحة سجن مزارِ شريف التي حدثت قبل شهر من ذلك اللقاء. قد تصنف تلك القسوة تحت عنوان الوقاية =

طالبان إجراءات لمنع بعض المتع الصغيرة عديمة الضرر مثل لعب الأطفال بالطائرات الورقية وإصرارهم على وضع القوانين الخاصة بأمور شخصية مثل شعر الوجه، وفرضهم لصلاة الجماعة، وكذلك انعدام الرحمة في معاملة النساء من خلال إقصائهنّ من كافة أشكال النشاط الاجتماعي والاقتصادي.[٥٠] لكنّ سقوط نظام طالبان هذا لا يعني بالضرورة نهاية أيام الوهابية في أفغانستان؛ فعبد الرسول سياف، أحد قادة ما يسمى تحالف الشمال، ليس أقل من طالبان في اعتقاده بالوهابية، كما أنّه كان مسؤولاً شخصيا عن القتل الطائفي للشيعة أيام الفوضى السياسية في كابول في الفترة التي سبقت وصول طالبان للسلطة.

ومع ذلك، فقد امتعض دعاة الوهابية بسبب سقوط نظام طالبان. ففي بيان محدث نشر على إحدى صفحات الانترنيت الوهابية في الخامس من كانون الأول ٢٠٠١، استنكر عشرة منهم دخول تحالف الشمال إلى كابول - الذي وصفوه بأنه تحالف «مؤلف من الشيوعيين والشيعة والمنافقين» - وقال البيان ما يلي: «لقد فتحوا مواقع للشرك كان طالبان قد أغلقوها من قبل [أغلب الظن أنهم قصدوا الزوايا الصوفية]، وحلقوا اللحى، ورموا الحجاب جانباً، ونشروا الموسيقى والغناء، بالإضافة إلى عرض الأفلام.» ليس من المؤكد حتى الآن كون تحالف الشمال أقل شراً من طالبان، لكن المدهش فعلاً في شجب هؤلاء الحكماء - الوهابيين - هو تجاهلهم التام للمعاناة الحقيقية الحادة للشعب الأفغاني وتركيزهم على الأمور

= المعقولة أو الثأر، نظراً لعمليات القتل الجماعية التي مارسها طالبان في جميع أنحاء أفغانستان.

(٥٠) من أجل الاطلاع على عينات من قوانين طالبان، أنظر: Ahmed Rashid, *Taliban*, pp. 217-219

التي ذكرناها. هذا ويمكن أن يستدل على فقدان مشابه للرحمة لو تتبعنا تقييمهم للهجوم على مركز التجارة العالمي واعتبارهم إياه «انتقاماً إلهياً».[٥١] لكن يبقى في علم الغيب نوع الجرائم المزعومة التي ارتكبها هؤلاء الآلاف من الناس الذين خرجوا ذلك الصباح ليمارسوا أعمالهم اليومية فجلبت عليهم العقاب الرباني المزعوم، إلا إذا اعتقد المرء بالتفسير الخاطئ للمفهوم القرآني بشأن العقاب الجماعي. هذا وقد رأى هؤلاء العلماء العشرة المرموقون أنّ «الخوف وتفشي الأمراض الذي أعقب ذلك [أي الحادي عشر من أيلول]» هو نوع من «سنن الله». إنّ كاتب هذه السطور يظنّ أنه من الكفر أن يقترح أحد ما أنّ من مظاهر إرادة الله وحكمته أن يموت عامل بريد غافل بسبب لمسه لرسالة محملة بجرثومة الجمرة الخبيثة (الأنثراكس).[٥٢]

أما بالنسبة لموطن الوهابية الأول، الجزيرة العربية، فقد بدأ التحالف التاريخي بين الوهابيين والعائلة السعودية يتقوض منذ فترة. فقد شكّلت انتفاضة مكة في تشرين الثاني من عام ١٩٧٩، والذي قادها رجل يدعى جهيمان محمد العتيبي، انبعاثا مفاجئا وغير متوقع لـ«الإخوان» الوهابيين؛ لكنها أحبطت بواسطة تدخل القوات الخاصة

---

(٥١) من اللافت للنظر هنا أيضا أنّ هذا التقييم عينه قد صدر عن شبيه الوهابيين في أمريكا، القس جيري فالويل، الذي عزا ذلك الهجوم إلى نوع من الانتقام الإلهي من الولايات المتحدة بسبب الانحلال الأخلاقي فيها، ثمّ عاد ليعتذر بعد أن انتقده الجميع بصورة لاذعة. (المترجم)

(٥٢) **«بيان مهم من عشرة علماء بعد انسحاب طالبان»**، www.as-sahwah.com. الموقعون على هذا البيان هم كل من: عبد الرحمن بن صالح المحمود، أحمد بن صالح السناني، سعد الحميد، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن ناصر الجليل، حمد بن ريس، فاره بن صالح البهلال، حمد بن عبد الله الحميدي، وناصر بن حمد الفهد.

الفرنسية التي أعطيت إذناً خاصاً بالدخول إلى المسجد الحرام من قبل رجال دين وهابيين موالين للنظام السعودي، فدخل أفرادها وقتلوا المشاركين في العصيان بإغراق المسجد بالماء وكهربة الموجودين بداخله.[٥٣] بيد أنّ حرب الخليج واتساع الوجود العسكري الأمريكي الذي صاحبها هو الذي قاد إلى توتر أكثر بين الوهابيين والنظام السعودي. ولكننا لو أخذنا بنظر الاعتبار وجود الضباط البريطانيين في نجد منذ الحرب العالمية الأولى، وكذلك القاعدة العسكرية شبه الدائمة في الظهران، لوجدنا أنّه ليس من الجديد أن يدعو النظام السعودي قوات أجنبية لحفر مواقع لها في الجزيرة العربية (أو على نحو أصح، أن يرضى بأن تفعل ذلك). مع ذلك، فقد فسِّر وجود هذه القواعد، وهذا هو الواقع، على أنها ستكون أكثر تدخلاً وأطول بقاء وأكبر حجماً من كل تلك التي سبقتها. وبنفس الدرجة من الغضب العارم كان ينظر إلى عدد من النساء (المجندات) وهنّ خلف عجلة القيادة يتجولن بسياراتهن في شوارع الرياض. فقد استنكر عدد من رجال الدين الوهابيين هذه التطورات، لعل أهمهم في ذلك صقر بن عبد الرحمن الحوالي وسلمان بن فهد العودة الذين كوفئا عن ذلك بمدة طويلة من السجن.

من الجدير بالذكر أنّ القلق من الوجود الأمريكي والعواقب الحضارية التي كان لابد من أنه سيخلفها لم يبعد الهوس الوهابي بشأن الشيعة. ففي خطبة موضوعها **«قدر الله في هذه الجزيرة»** أكد سلمان بن فهد العودة على أهمية وجود الوهابية من أجل رفاه

(٥٣) **انتفاضة الحرم**، وهو كتيب نشرته منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، طهران (لا يوجد تاريخ للنشر أو أرقام صفحات).

الجزيرة العربية (التي تعتبر قلب العالم الإسلامي، ليس جغرافياً فقط) وكانت لازمة النهاية للخطبة أنه حثّ على طرد جميع شيعة الجزيرة الذين دعاهم بالمصطلح التقليدي السلبي، «الرافضة».(٥٤) أسوأ من ذلك كله فتوى أصدرها عبد الله بن جبرين عام ١٩٩١ مستنكرا الشيعة باعتبارهم «مشركين يحل سفك دمائهم.» ربما كان النظام السعودي يحاول أن يبعد الحنق الوهابي عنه حين قام في السنة التالية بسجن وإعدام عدد من مواطنيه الشيعة وتسوية أربعة من المساجد الشيعية بالأرض.(٥٥)

الحوالي والعودة ليسا جاهلين بالتطورات التي تجري في العالم الخارجي، ولهذا لا يمكن إلا أن يقرّ بصحة بعض نظرياتهما، على الأقل، بشأن حرب الخليج والعملية السياسية الأمريكية. ولكنهما مع ذلك لم يكونا على اتصال مباشر بالغرب، كما أنهما بقيا نكرتين في الأوساط الغربية تقريباً. كلا الأمرين ينعكسان تماماً حين نذكر شخصيتين معارضتين يمثل كل منهما بطريقته الخاصة عقلية وهابية مستمرة، محمد المسعري وسعد الفقيه.

الأول هو الزعيم الحالي للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، وهي منظمة أسست في أيار عام ١٩٩٣ من قبل مجلس من العلماء

---

(٥٤) ذكر ذلك مأمون فندي في كتابه: *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*, New York, 2001, p. 101. لم يكن هذا الطلب جديداً، ففي عام ١٩٢٧، أصدر علماء الوهابية فتوى تهدد بطرد كافة شيعة الأحساء ما لم يوافقوا على هدم مساجدهم وتعلو مبادئ الوهابية. لكن الفتوى لم تطبق، لأسباب سياسية. أنظر Jacob Goldberg, "The Shi'i Minority in Saudi Arabia," Juan R. Cole and Nikki Keddie, eds. *Shi'ism and Social Protest* (New Haven, 1986), pp. 235-236. إنّ انجذاب العلماء الوهابيين لفكرة طرد الشيعة يذكرنا بالمشروع الصهيوني للتهجير، أي إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين.

(٥٥) Said Aburish, *The House of Saud*, pp. 110-111.

كان على رأسهم والده الشيخ عبد الله المسعري.[٥٦] محمد المسعري الذي عمل متحدثاً رسمياً للمجلس اعتقل في ١٥ أيار وبدأت حينها حملة دعائية ضد اللجنة، فردت اللجنة على ذلك في ٢٦ أيار ببيان أوضحت فيه أهدافها. أكد الموقعون على الطبيعة الإصلاحية لأهدافهم مدعين بأنها على وفاق تام مع المؤسسات الحالية، كما أكدوا في الختام على أنّ «جميع أعضاء اللجنة يعتقدون بعقيدة أهل السنة ويطبقون مبادئ هذه العقيدة فيما يتعلق بالموقف من الحكام.»[٥٧] لا شك في أنّ هذا البيان كان يهدف إلى إرسال إشارتين، أولهما كون أعضاء اللجنة لا علاقة لهم بالتشيع، خلافا للشائعات التي أطلقت، بل هم سنة صحاح (يعني أنهم وهابيون)؛ والإشارة الثانية هي أنهم يحترمون الحظر التقليدي على عصيان الحكام، وهي تهمة تتفرع من وصفهم بالتشيع. لقد كانت نجد، موطن الوهابية الأول، مكان الاستقبال المتلهف لبيانات ورسائل اللجنة. انتقل محمد المسعري إلى لندن في عام ١٩٩٤ ثمّ بدأ يستفيد من الإمكانيات الإعلامية المتوفرة هناك فأصبح رئيس المنظمة وبدأ بنشر تجاوزات النظام السعودي من المنفى.[٥٨]

في العام ١٩٩٥ ذهب المسعري إلى أبعد من أهدافه الإصلاحية

---

(٥٦) الأعضاء الآخرون هم كل من: حمد السليفية وعبد الله بن جبرين (مؤلف فتوى الإبادة الجماعية للشيعة) وعبد الله الحميد وعبد الله التويجري. أنظر Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*, pp. 118-119 وكذلك *Arabia Monitor*, II:5 (May, 1993), p. 1.

(٥٧) *Arabia Monitor*, II:6 (June 1993), p. 4.

(٥٨) لقد أثبتت محاولات إسكات المسعري أو تهجيره من بريطانيا إلى غرب الإنديز استمرار العلاقة الوثيقة التي كانت ولا تزال بين بريطانيا والنظام السعودي. لقد بررت الحكومة البريطانية حينذاك موقفها بالإشارة إلى صفقة أسلحة ضخمة مع السعودية كان وجود المسعري سيهددها، حسب زعم الحكومة.

الأصلية فنشر كتاباً عنوانه «**الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية**». ربما كان أكثر ما يثير في هذا الكتاب هو نقده لمحمد بن عبد الوهاب نفسه بسبب دخوله تحالفاً مع العائلة السعودية مما أدى، في رأيه، إلى تجريد الدعوة الوهابية من غرضها الكوني المزعوم.(٥٩) ومع ذلك، فهنالك صدى وهابي في خطته السياسية لدولة إسلامية تصور أنها سوف تحرم على مواطني السعودية الشيعة أي منصب سياسي ذي شأن.(٦٠) لكن الصورة مختلطة الآن، فهو قد بدأ مؤخراً حواراً مع علماء شيعة يسكنون في لندن، من أمثال آية الله محسن آراكي، وكذلك وافق على مقابلة مع وكالة صحافة الجمهورية الإسلامية.(٦١)

أما سعد الفقيه، فقد بدأ حياته السياسية كعضو حركي في لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية لكنه انفصل عنها (أو فُصِل منها كما يقول المسعري) في ١٩٩٦ ليؤسس منظمة أخرى تدعى الحركة الإسلامية للإصلاح، بهدف الحفاظ على الأهداف الأصلية للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية. إن لم تكن هذه الأهداف نتيجة لصراع داخل المنظمة بين الفقيه والمسعري، فلا بد من كون سعد الفقيه قد أسس حركته على الولاء للوهابية. في الحقيقة، يقال إنّ منظمته تتبع الفقه الحنبلي بدقة و«تقيم خطابها وتفسيراتها» على كتابات محمد بن عبد الوهاب، بالإضافة إلى ابن تيمية وابن قيم الجوزية، ولكنها تفضل اللُّحمة السلفية على اللُّحمة الوهابية. يدعي سعد الفقيه بأنه مستعد للتعامل مع الشيعة ولكنه يفسر رفضه لتقديم اقتراحات ودية

---

(٥٩) **الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية**، ص ٢٣٣.

(٦٠) Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*, p. 146.

(٦١) Fandy, p. 173.

إلى ممثلي المجتمع الشيعي بوجود كره لدى مؤيديه في الجزيرة العربية لهؤلاء الناس.[٦٢]

من غير الممكن قياس الدعم الذي تحظى به لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية أو الحركة الإسلامية للإصلاح داخل المملكة العربية السعودية، لكن بالنسبة لعدد من العلماء الوهابيين، وصلت الأمور إلى نقطة لا عودة بعدها عقب أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، والدعم السعودي للغزو الأمريكي لأفغانستان. فقد أصدر الشيخ حمود الشعيبي وعبد الله بن جبرين فتاوى لم تكتف بتبرير الهجمات على مركز التجارة العالمي - رافضين أي حديث عن الضحايا الأبرياء باعتباره محض «هراء» - وإنما تعدّت ذلك إلى اعتبار جميع المسلمين الذين يتعاونون مع أمريكا كفاراً، وهذه الشريحة تتضمن طبعاً العائلة السعودية.[٦٣] لقد أصبح السببان الأساسيان لوجود النظام السعودي - الخضوع للقوى الخارجية واتباع الوهابية - غير متجانسين الآن. الذي نأمل فيه من الله بخشوع - وبكل ما تعنيه هذه الكلمة - أنه إذا سقطت المملكة السعودية، أن يحلّ محلها شيء يختلف عن مجرد نظام وهابي تقهقري.

---

(٦٢) Fandy, p. 161-162, 173.

(٦٣) نشرت هذه الفتاوى على صفحة www.as-sahwah.com في ١٥ تشرين الأول عام ٢٠٠١.

(٥)

لا بد وأن القارئ النابه قد عرف الآن أنّ كاتب هذه السطور يمتلك محبة ضئيلة جدا وتعاطفا أكثر ضآلة للوهابية. لذلك فهو يود أن يتقدم بالملاحظات الآتية على شاكلة خلاصة.

أولاً: إنه من المتعارف عليه بين المسلمين من خلال التجربة هو كون الوهابيين وأولئك الذين يعملون تحت تأثيرهم كانوا ولسنوات عديدة يطلقون الاتهامات بالشرك والبدعة جزافاً. هذا السلوك الكريه عاد اليوم بشكل معكوس، إذ أنّ بعض الأفراد من ذوي الكفاءات والدوافع المشبوهة ممن ينصبون أنفسهم حماة لأهل السنة والجماعة (كثيرا ما يطلقون على أنفسهم صفات مثل «المعتدل» و«الخط العام» و«التقليدي») أخذوا يسمون بالوهابية كل من لا يعتنق أفكارهم في الدين والسياسة. من الملحوظ إنّ هؤلاء الذين يتخذون معاداة الوهابية مهنة لهم، وفي محاولة لأن يحظوا برضا بعض الجهات، أخذوا يتهمون بالوهابية بشكل خاص أولئك المسلمين الذين تشكل القضية الفلسطينية أولوية متقدمة لديهم. مما لاشك فيه هو أنّ التيار السلفي يحظى بتأييد الكثير من الأتباع، كما أنه لا يوجد شك في كونه يمتلك نقاط التقاء مع الوهابية، كما أسلفت من قبل؛ لكن من غير الصحيح، بل من إنه لموقف غير مسؤول وخطير -

خصوصا في أجواء أمريكا ما بعد الحادي عشر من أيلول - أن تدمج السلفية مع الوهابية من أجل رسم صورة لمسلمي أمريكا بوصفهم على الأغلب من الوهابيين.[٦٤]

ثانيا: ينطلق الاهتمام النقدي تجاه الوهابية الآن في الغرب بصورة عامة من مصدرين، أولهما الغضب العارم بسبب كون الذين يتحملون مسؤولية جريمة الحادي عشر من أيلول قد جاءوا على الأغلب من خلفية وهابية؛ وثانيهما متعلق بالانزعاج من كون الأعضاء الحركيين والدعاة الوهابيين قد عطلوا النظام السعودي عن أداء دوره بكفاءة في الخطة الأمريكية للهيمنة السياسية والعسكرية على الشرق الأوسط. المصدر الأول للنقد يتمتع بمشروعية كاملة، أما الثاني فأقل شرعية. هذا ويأتي الوعي المتزايد بشان الوهابية الآن في سياق الحرب الأمريكية على إرهاب يعرَّف حتى الآن بأنة لا يمكن أن ينسب إلاّ إلى المسلمين، أشخاصاً ومنظمات ودولاً. هذه الحرب تشن الآن بالتنسيق مع حلفاء مثل روسيا التي تتلطخ أيديها بدماء المسلمين الشيشان، وكذلك الصين التي استغلت هذه الفرصة لتوجيه اضطهاد أكثر شراسة من قبل ضدّ مسلمي شرق تركستان (سنكيانغ)؛ وأزبكستان، حيث الصلاة في مسجد يمكن أن تعرض صاحبها لسنوات من السجن والتعذيب. والأسوأ من ذلك كله كون هذه الحرب تأتي في وقت تزداد فيه حدة حرب الإبادة التي تعربد في فلسطين والتي ينفذها الصهاينة بدعم كامل من الولايات المتحدة. باستثناء الإشارة إلى الرضى المقزز الذي أبداه بعض الوهابيين عن

---

(٦٤) في الحقيقة، هناك بعض العدالة في ملاحظة وزير الشؤون الدينية السعودي، الشيخ صالح آل الشيخ، بأنّ الإعلام الغربي بدأ يصور الصلاة في المسجد على أنها نوع من «الممارسة المتشددة، ثمّ إنهم يساوون بين المتشددين والإرهابيين، فأصبحنا جميعاً إرهابيين.» نيويورك تايمز، ٤ كانون الأول ٢٠٠١.

الجريمة النكراء التي اقترفت بحق الأبرياء في نيويورك في الحدي عشر من أيلول، فإنّ نية كاتب هذه السطور من ورائها لا تتعلق بالنقاش الدائر حالياً. الذي أدى إلى كتابة هذه المقالة منذ أكثر من سنة هو القلق بشأن تمكن الوهابية من تشويه التعاليم الأساسية للإسلام؛ بعد أن قامت بدور الدعامة الإيديولوجية لنظام أهدر ثروات الجزيرة العربية، مشوهة صورة المسلمين شيعتهم وسنتهم باعتبارهم غير مسلمين وموصية بإهدار دمائهم. كما أنهم - أي الوهابيين - قد أوجدوا أو ضخموا الانقسام والصراع أينما ذهبوا. بالإضافة إلى تدميرهم لجزء كبير من الإرث الثقافي الإسلامي، بدءا بالحجاز وانتهاء بأماكن مثل الشيشان والبوسنة وكوسوفو. كما أنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في المساهمة بأي شيء ذي بالٍ للتطور الفكري الإسلامي أو لبرنامج التقدم السياسي والحضاري للعصر الحاضر.

ملحقات(*)

(آ)
من كتابات محمد بن عبد الوهاب

من الصعب العثور على نصوص متواصلة لكتابات إيضاحية لمؤسس الوهابية يمكن أن تمثل تصويراً صادقاً لنمط تفكيره الخاص، لأنّ معظم كتاباته هي في واقع الأمر مجرد توليفات من الحديث كما أسلفت من قبل. بينما تعرضت كتاباته الأخرى لعملية «تطويل» كما هو الحال مع الكتاب الذي اخترنا منه هذا النص. لكن ليس هنالك سبب يدعو إلى الشك في كون الأفكار الرئيسية فيه هي أفكار الرجل نفسه. عدا ذلك يمكن القول بأن نمط التطويل لم يكن أنيقاً. من الجدير بالملاحظة هنا ادّعاؤه بأنّ مشركي الجزيرة الذين حاربهم النبي كانوا بشكل عام موحّدين، باستثناء مسألة إيمانهم بالشفعاء. هذا التصوير غير الدقيق تماماً لمشركي مكة يساعد في تفسير السهولة التي بموجبها وصم محمد بن عبد الوهاب مسلمي

(*) النصوص المدرجة في هذه الملحقات هي النصوص العربية الأصلية، وليست مترجمة. لم أحصل على الطبعات نفسها التي أخذ منها المؤلف مختاراته، فارتأيت أن أثبت أرقام الصفحات من الطبعات التي راجعتها بنفسي حتى لا يكون هنالك اختلاف بين النص الذي أدرجته هنا والنص الذي راجعه المؤلف من الناحية الشكلية، أما المضمون فواحد، وهو يطابق ما أورده المؤلف في ترجمته للنصوص. (المترجم)

زمانه بأنهم مشركون. بل هو في الحقيقة قد اعتبر معاصريه من المسلمين مستحقين للشجب أكثر من أولئك الذين جاهد النبي ضد معتقداتهم؛ كما يتضح من النص الثاني أدناه. هذا الأمر قد يوضح نزعة الوهابية نحو قسوة لم يكن النبي نفسه ليقبل عليها في معاركه. كم أنه من المثير حقا أن يجد محمد بن عبد الوهاب، في النص الثاني، عصمة وتقوى عند الجمادات.

النص الأول: توضيح كون المهمة الأولى للأنبياء هي توحيد العبادة.

«إعلم - رحمك الله - أن (التوحيد) هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين. أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين؛ فبعث الله إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لا لملَك مقرّب ولا لنبي مرسَل فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون مقرّون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.»

- **كشف الشبهات**، القاهرة، ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ص ٣.

النص الثاني: إثبات أنّ شرك القدماء أخفّ من شركِ أهل زماننا.

«فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

(أحدهما) أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى (وإذا مسَّكم الضرُّ في البحرِ ضلَّ من تدعونَ إلا إيّاهُ، فلمّا نجّاكُم إلى البرِّ أعرضتُم، وكانَ الإنسانُ كفوراً) وقوله: (قلْ أرأيتُمْ إن أتاكُمْ عذابُ اللهِ أو أتتكُم الساعةُ أغيرَ اللهِ تدعونَ إنْ كنتمْ صادقين؟ بلْ إيّاهُ تدعونَ فيكشف ما تدعونَ إليهِ إنْ شاءَ، وتنسونَ ما تشركونَ) وقوله (وإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليهِ - إلى قوله - قلْ تمتعْ بكفرِكَ قليلاً إنكَ من أصحابِ النارِ) وقوله (وإذا غشيهمْ موجٌ كالظللِ دعوا اللهَ مخلصينَ لهُ الدينَ). فمن هذه المسألة التي أوضحها الله في كتابه وهي أن المشركين - الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً جيداً راسخاً؟ والله المستعان.

(الأمر الثاني) أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله: إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية. وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا

والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك. والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فَسقه وفساده ويشهد به.»

- **كشف الشبهات**، ص ١١.

(ب)
وجهة نظرٍ معاصرة لبدايات الوهابية

أحمد بن زيني دحلان المولود عام ١٨١٦/١٢٣٢ والذي أصبح فيما بعد مفتي مكة الشافعي عام ١٢٨٨/ ١٨٧١، ثمّ توفي بمكة عام ١٨٨٦/١٣٠٤. وعليه فليس من الممكن القول بأنه شاهد عيان على الحوادث التي جرت في الحرمين إبان الاحتلال الوهابي الأول، لكنه كان على معرفة بكثير ممن عاش تلك الفترة. النص التالي مختار من كتابه الرئيس في التاريخ، وهو كتاب يؤرخ للعالم الإسلامي في مراحل ما بعد وفاة الرسول. هذا النص يمكن أن يفيد في تصوير المواقف التي كانت سائدة حيال الوهابية في الحجاز بعد عشرين أو ثلاثين سنة من تلك الأحداث.

«وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بني تميم وكان من المعمرين فكاد يعد من المنْظَرين لأنه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم، وكانت ولادته سنة ألف ومائة وإحدى عشرة وهلك سنة ألف ومائتين وأرخه بعضهم بقوله: (بدا هلاك الخبيث) - ١٢٠٦.

وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان أبوه رجلاً صالحاً من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدون من أقواله وأفعاله ونزعاته في

كثير من المسائل، وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وأن نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو نفعني هذا الدواء وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه وأتى بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الأعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال، وكان ابتداء ظهور أمره سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف. وألّف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه. . . وكان مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم.»

- **الفتوحات الإسلامية**، القاهرة ١٩٦٨، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(ج)
رد شيعي على الوهابية

في عام ١٢١٠/ ١٧٩٥، وقبل الغزو الوهابي لكربلاء بعشرة أعوام، أرسل الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨/ ١٨١٣)، وهو أحد قادة المراجع الشيعة في وقته، رسالة إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود ضمنها مؤلفاً كتب بأناقة وتهذيب كان عنوانه «منهج الرشاد لمن أراد السداد.» لقد حاول فيه، بالاعتماد الكلي على المصادر السنية للحديث، أن ينفي التهم الكثيرة بالكفر والشرك التي كان يكيلها الوهابيون ضد المسلمين - وخصوصا الشيعة. النص المختار هنا يتناول مسألة الاستغاثة، أو طلب العون من الشخصيات المقدسة والممارسات ذات الصلة التي يعتبرها الوهابيون شركا، لكنها في الحقيقة تقوم على أسس راسخة وهي أيضا ذات جذور عميقة في العبادات السنية والشيعية على حد سواء. من المهم هنا ملاحظة أنّ المؤلف يشير إلى أنّه لا الاعتقاد بإباحة هذه الممارسات ولا رفض ذلك يشكل جزءاً أساسياً من الإيمان في الإسلام.

«فبحقّ من شقّ سمعك وبصرك، أن تمعن في هذا المقام نظرك، وتصفي نفسك عن حب الانفراد، كما يلزمنا التخلية عن حب متابعة الآباء والأجداد.

ولا فرق بين الأحياء والأموات، لأنّ من استغاث بالمخلوق أو استجار، على أنه فاعل مختار، فقد دخل في أقسام الكفار، والاستغاثة بعيسى أو بمريم، حيين أو ميتين، تقع على القسمين.

واعتقاد أنّ الميت يسمع أو لا يسمع، ليس من عقائد الدين التي تجب معرفتها على المسلمين، فمن اعتقدها: فأما أن يكون مصيباً مأجوراً، أو مخطأً معذوراً.

ومن ذلك القبيل الألفاظ التي تفيد الرجاء، والتوكّل، والاعتماد، والتعويل، الالتجاء، والاستعانة بغير الله، فإنّ هذه العبارات لو بني على ظاهرها لم يبق في الدنيا مسلمٌ إذ لا يخلو أحد من الاستعانة على الأعداء، والاعتماد على الأصدقاء، والالتجاء إلى الأمراء، ونحو ذلك.

إلا أنه إن قصد الملتجأ إليه والمعول عليه من المخلوقين له اختيارٌ وتدبيرٌ في العالم لنفسه لا عن أمر الله، فذلك كفر بالله، وإلا فلا بأس.

ومما يناسب نقله في هذا المقام ما نقله القتيبي، قال: كنت جالسا عند قبر رسول الله (ص) فجاء أعرابي فسلَّم على النبي (ص)، ثمَّ أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمُهُ	فطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ	فيه العفاف، وفيه الجود والكرمُ

ثمّ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقد ظلمت نفسي، وأنا أستغفر الله وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي. قال القتيبي: ثمّ نمت، فرأيت النبيَّ (ص) في المنام، فقال: يا قتيبي أدرك الأعرابي وبشِّره أنه قد غفر الله له، قال: فأدركتُه وبشَّرتُه.»

- **منهج الرشاد لمن أراد السداد**، طبعت كملحق لكتاب محمد حسين كاشف الغطاء «**العبقات العنبرية الطبقات الجعفرية**»، تحقيق جودت القزويني، بيروت، ١٤١٧/ ١٩٩٨، ص ٥٥٥.

تسلسل الأحداث

١١١٥/١٧٠٣	ولادة محمد بن عبد الوهاب في العُيينة.
١١٣٩/١٧٢٦	فصل والده من القضاء في العُيينة واضطراره للانتقال إلى حُريملا.
١١٤٠/١٧٢٧	محمد بن عبد الوهاب يبدأ دراسته في المدينة المنورة تستمر أربع سنوات.
١١٤٥/١٧٣٢	ينتقل إلى قرية المجموعة، قرب البصرة.
١١٤٦/١٧٣٣	يرسل وفداً إلى مكة طالبا الإذن بالقدوم للحج، ويخسر مناظرة مع العلماء.
١١٥٣/١٧٤٠	وفاة والده؛ يعود إلى العُيينة ويبرم اتفاقاً مع حاكمها، عثمان بن حمد بن معمّر.
١١٥٧/١٧٤٤	ينتقل إلى الدرعية ويبرم معاهدة مع محمد بن سعود، وبذلك يؤسس التحالف الوهابي-السعودي.
١١٥٩/١٧٤٦	الدولة الوهابية-السعودية تعلن الجهاد على المسلمين.
١١٨٠/١٧٦٦	وفاة محمد بن عبد الوهاب.
١٢١٧/١٨٠٢	المجزرة الوهابية في كربلاء ونهب أموال أهلها.

١٢١٧/ ١٨٠٣	المجزرة الوهابية في الطائف؛ الاحتلال الوهابي الأول لمكة المكرمة.
١٢١٨/ ١٨٠٣	اغتيال عبد العزيز بن محمد بن سعود.
١٢٢٠/ ١٨٠٥	الاحتلال الوهابي للمدينة المنورة.
١٢٢٠/ ١٨٠٦	الاحتلال الوهابي الثاني لمكة المكرمة.
١٢٢٨/ ١٨١٣	تحرير مكة والمدينة من قبل محمد علي باشا.
١٢٣٤/ ١٨١٩	محمد علي باشا يهاجم الدرعية؛ إعدام عبد الله بن سعود في الأستانة.
١٨٦٥	الاتصال الأول بين البريطانيين والعائلة السعودية.
١٩١٥	المعاهدة البريطانية-السعودية.
١٩٢٤-١٩٢٥	الاحتلال السعودي للحجاز.
١٩٢٩	اضطهاد «الأخوان».
١٩٣٢	الإعلان الرسمي عن قيام المملكة العربية السعودية.
١٩٥٣	وفاة عبد العزيز بن سعود.
١٩٦٢	تأسيس رابطة العالم الإسلامي.
١٩٧٩	انتفاضة مكة.
١٩٨٠	حرب الخليج.
١٩٩٣	تأسيس لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية.
٢٠٠١	نهاية نظام طالبان في أفغانستان.

مصادر البحث

أولاً: كتابات محمد بن عبد الوهاب

بالعربية:

- **كشف الشبهات**، مع إضافات وملاحظات كتبها علي حمد الصالحي، وخاتمة كتبها عبد الرحمن محمد الدوسري، الرياض، ١٣٨٨/ ١٩٦٨.
- **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب**، تحقيق عبد العزيز الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، الرياض، مجموعة مجلدات، لا ذكرَ لتاريخ النشر.
- **مسائل الجاهلية**، بإضافة من عند محمود شكري الآلوسي، لا ذكرَ لتاريخ النشر.

بالإنجليزية:

- *Kitab al-Tawhid*, translated, introduced, and expanded by Isma'il al-Faruqi, Delhi, 1988.
- *Sources of Islamic Thought: Three Epistles on Tawhid*, translated and edited by Isma'il al-Faruqi, Indianapolis, 1980.

ثانياً: ردود على الوهابية

- جعفر كاشف الغطاء، **منهج الرشاد لمن أراد السداد**، طبع كملحق في نهاية كتاب **العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية** لمحمد حسين كاشف الغطاء، تحقيق جودت القزويني، بيروت، ١٤١٨/ ١٩٩٨، ص ٥٠٥-٥٨٧.

- خواجة محمد حسن جان صاحب سرهندي مجددي، **الأصول الأربعة في ترديد الوهابية**، بيشاور، ١٣٤٦/١٩٢٨.
- داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي، **المنحة الوهبية في الرد على الوهابية**، إسطنبول، ١٣٠٥/١٨٨٧.
- سليمان بن عبد الوهاب النجدي، **الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية**، طبعة ثانية، إسطنبول، ١٣٩٦/١٩٧٦.
- محمد حسين كاشف الغطاء، **نقد فتاوى الوهابية**، قم، ١٤١٦/١٩٩٥.
- مفتي محمد بيشاوري، **ردّ وهابي**، دلهي، ١٢٦٤/١٨٤٨.

(العناوين المذكورة تشكل مجموعة منتقاة من الكتابات المهمة والتي يمكن الحصول عليها بيسر. من أجل الوقوف على قائمة شاملة للكتابات التي أُلِّفت في الردّ على الوهابية، راجع مقالة السيد عبد الله محمد علي، **معجم ما أَلَّفه علماء الأمة الإسلامية للردّ على خرافات الدعوة الوهابية**، تراثنا، رقم ١٨، شوال ١٤٠٩، ص ٨٦٦-٨٩٨.)

ثالثاً: مصادر أخرى:

- عثمان بن عبد الله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الرياض، لا ذكرَ لتاريخ النشر.
- أيوب صبري باشا، **تاريخ وهابيان**، إسطنبول، ١٢٩٦/١٨٧٩.
- Aburish, Said K. *The rise, corruption, and coming fall of the House of Saud*, London, 1994.
- Asad, Muhammad *The Road to Mecca*, London, 1954.
- Burckhardt, J.L. *Notes on the Bedouins and Wahabys*, London, 1830.
- Neşet Cağatay, "Vehhabilik," *Islam Ansiklopedisi*, XIII, pp. 262-269.
- De Gaury, Gerald *Rulers of Mecca*, London, 1951.

- Fandi, Mamoun *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*, New York, 1999.
- Laoust, Henri "Ibn 'Abd al-Wahhab, Muhammad," *Encyclopaedia of Islam* (new edition), III, pp. 677-679.
- Noelle, Christine "The Anti-Wahhabi Reaction in Nineteenth Century Afghanistan," *Muslim World*, LVIIIV (1995), pp. 23-48.
- Peskes, Esther and Werner Ende "Wahhabiyya," *Encyclopaedia of Islam* (new edition), X, pp. 39-47 (with detailed bibliographies on pp. 45, 46-47.)
- Rashid, Ahmed *Taliban*, London and New Haven, 2000.
- Safiullah, Sheikh M. "Wahhabism: A Conceptual Relationship Between Muhammad Ibn 'Abd al-Wahhab and Taqiyy al-Din Ahmed Ibn Taymiyya," *Hamdard Islamicus*, X/1 (1987), pp. 67-83.
- Winder, R. Bayly *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*, New York, 1980.

هذا الكتاب

يستعرض المؤلف ثلاثة جوانب أساسية بشأن الوهابية. فهو أولاً، يتعرض بإيجاز لثلاث مقولات تتعلق بالوهابية. أول هذه المقولات هي تلك التي روجتها الوهابية ذاتها وتتعلق بادّعائها احتكار صفة الإسلام في ذات الوقت الذي تتهم فيه بقية المسلمين بالشرك والجاهلية. المقولة الثانية تنبع من الفكر الاختزالي لبعض الكتاب، وخصوصاً الغربيين منهم، فهم الذين توهموا وأوهموا من تبعهم بأن الوهابية حركة تنتمي لمذهب أهل السنّة، أو أنها تمثل الشطر المتشدد ضمن ذلك المذهب. فالمؤلف يستشهد هنا برفض علماء أهل السنّة لهذا الرأي، بالإضافة إلى الفوارق الشاخصة بين الطرفين، والتي ليس من الممكن إغفالها. أما المقولة الثالثة فهي التي تقول إنّ الوهابية قد فتحت الطريق لحركات الإصلاح في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب.





صورة الغلاف: وحيدة مال الله